Palestine Issue as Reflected in Emil Habibi's Novels:

An Analytical Study

Dissertation Submitted to the Jawaharlal Nehru University in

Partial fulfillment of the requirements for the awards

of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

MOHAMMAD FAISAL

Under the supervision of

Dr. MUJEEBUR RAHMAN

Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

2012

القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي

دراسة تحليلية

Palestine Issue as Reflected in Emil Habibi's Novels:

An Analytical Study

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

محمد فيصل

تحت إشراف

الدكتور مجيب الرحمن

مركز دراسات اللغة العربية و الإفريقية

كلية دراسات اللغة و الأدب و الثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي- ١١٠٠٦٧

٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

مقدمة: 03

المدخل إلى الموضوع: عرض تاريخي للقضية الفلسطينية وتجلياتها في الرواية العربية. 10

الباب الأول: إميل حبيبي: شخصيته وفنه. 30

الفصل الأول: شخصيته. 34

الفصل الثاني: أعماله الأدبية 50

الفصل الثالث: إميل حبيبي والنضال الفلسطيني. 61

الباب الثاني: دراسة القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي. 72

الفصل الأول: القضية الفلسطينية في ضوء الروايات، المتشائل، سداسية الأيام الستة وإخطية (خلاصتها وأبعادها) 74

الفصل الثاني: دراسة الجوانب المثيرة للقضية الفلسطينية في ضوء الروايات. 100

الفصل الثالث: دراسة الجوانب الفنية في الروايات. 129

الباب الثالث: تأثير روايات إميل حبيبي في القضية الفلسطينية. 149

الفصل الأول: تأثير الروايات في بث الوعي بالكفاح الوطنى. 151

الفصل الثاني: دراسة مدى تفاعلات محتويات الروايات مع النضال الشعبي الفلسطينيى. 162

الفصل الثالث: رؤية إميل حبيبي وتعبيرها في القضية الفلسطينية. 179

خاتمة البحث. 187

اقتراحات. 190

المراجع والمصادر 163

المقدمة

القضية الفلسطينية هي قضية اغتصاب اليهود للأراضي العربية الفلسطينية منذ 1948م وهي قضية مرتبطة بالحركة الصهيونية التي هي حركة سياسية عنصرية استعمارية. إنها عملية اصطناع " دولة إسرائيل" وسط قرارات دولية ظالمة منذ العام 1947م وبعد وعود امبراطورية واهية للتخلص من المسئلة اليهودية بدأ من وعد بابليون إلى وعد بلمرستون ـ وزير خارجية بريطانيا ـ إلى وعد بلفور، وموخرا إلى وعد الرئيس الأمريكي باراك أوباما.

لقد شكلت القضية الفلسطينية أخطر ظاهرة تواجه الشعب العربي في عصرنا الحاضر هي من أكبر المؤامرات التي تواجه هذا الشعب، وفي مقابل ذالك، نهض الأدباء العرب عامة والفلسطين خاصة لهذه القضية فنبهوا إلى الخطر المحدق، ومجدوا كفاح أبناء فلسطين وثوراتهم، وصوروا البطولة والتضحية وأشادوا بالروابط القومية والنضال المتوج بدماء الشهداء العزيزة من أجل الحرية والكرامة الإنسانية وحقوق الشعب الفلسطيني ومن بين الأدباء البارزين اسم إميل حبيبي يكون خالدا على صفحات التاريخ المشرقة ويكون نبراسا حقيقيا للجيل الجديد لمتابعة درب المستقبل حتى أصبح التاريخ لايعرف إميل حبيبي إلا من نضاله وصموده ورؤيته التاريخية الشفافية والمستقبلية في حق الشعب الفلسطيني كما يقول الروائي الفلسطيني يحيى يخلف عنه "إميل حبيبي كان فلسطينيا مخلصا لشعبه وكان

وطنيا صادقا، وسيظل إميل حبيبي سنديانة جذعها في السماء وجذورها في الأرض. ولذالك طلب بأن يدفن في حيفا ويكتب على قبره "باق في حيفا".

لقد كتبت آلاف البحوث والكتب والدراسات حول هذه القضية من مختلف ألوانها وزواياها. ولكن هذه الدراسة " القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي " تتميز من الدراسات الأخرى بكونها نوعا جديدا من الأفكار والموضوع والشكل والبناء وتكاد تكون أول من نوعها لشمولها وسعة نطاقها وستكون نافعة للجيل الجديد الذي يعطش إلى شئ من الأمل والتفائل في وجه الأعداء ومن ثم شخصية إميل حبيبي شخصية فريدة ومتعدد المواهب والاهتمامات، وأهم شئ في هذا الباب. أنه قضى حياته وظل في حيفا طول حياته ورأى مباشرة الاعداء وراقب هذه القضية ليلا ونهارا بكل دقة. لم يستطع أحد أن يحتل مكانه.

وللأديب إميل حبيبي آفاق أدبية واسعة، ومساهمات متعددة ومتنوعة حيث كتب القصة والرواية والمسرحية، وكانت مطامحه دوما، تتجه إلى الأجيال الفلسطينية التي باتت وسط أمواج عاتية من الظلم والاضطهاد والخوف والذعر، والمخاطر، وتعانى مرارة الواقع في شتى العصور، وتعيش حالة من البؤس والإحباط لامثيل لها. هذه الأجيال تنتظر من يعطيها شيئا من الأمل أو يمدها بعض الصبر والصمود والتفائل، أو يضئ لها ـ في هذه الظلمات ـ سبيل النجاة، ويفضح أمامها صور المكر والشر والخديعة حتى تعود إلى عزتها وكرامتها الضائعة.

إنه أراد أن يحيى ما توارى في الشعب الفلسطيني من مروءات ونخوات وأريحيات وهويات، تشد الشباب إلى ماضي أمته ليرفد حاضره، من أجل مستقبل مشرق خال من الأمراض التي انتهت بهم إلى ما نحن فيه من بؤس وتعسة وضنك هو دائما أراد أن يزود الأجيال بزاد الرجولة والصمود والمقاومة وكل هذا يعكس في رواياته بالوضوح وبشكل جميل. إن رواياته تقول للشعب الفلسطيني امضوا في مقاومتكم عزما وقوة ولا تتأسوا من روح الله، فإن للحق رنينا صادقا يتميز به عن كل رنين وللمقاومة دورا فعالا قويا ينتج منها خير وسعادة.

ومن يقرأ روايات إميل حبيبي لايخرج منها إلا ويتمثل الصورة الحقيقية تتوقد في نفسه مشاعر الغيرة والتضحية في سبيل العزة والكرامة الإنسانية والبحث عن سبيل النصر القادم.

حقا إميل حبيبي يعد من المناضلين الفلسطينين ومن رواد المستقبل، وحملة الأقلام المخلصة والكلمة المعبرة.

إن ميدان البحث في موضوع " القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي" مازال بكرا وخصبا وبحاجة إلى من يخوص غماره، ويتولى دراسة أبعاده، ويرصد تطور الرواية الفكرية والجمالية والفنية للروائي. ومن هنا موضوع هذا البحث الذي يتناول بالدراسة والتحليل للقضية الفلسطينية كما جسدها الروائي إميل حبيبي ويقف مجمل القضايا والمفاهيم والأفكار التي

عالجها. وتشمل مادة البحث أهم الروايات الثلاثة: الوقائع الغربية في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل، سداسية الإيام الستة و إخطية.

أما منهج البحث: فنظرا لطبيعة الدارسة وظفت في هذه الدراسة المنهج التحليلي العلمي وبذلت قصارى جهدي في البحث بجمع المعلومات والمواد بما فيها المصادر الأولية والثانوية من المكتبات والمؤسسات في الهند ومن المصادر الأخرى من مواقع شبكة الانترنت والمواد الأعلامية.

ويتألف البحث من مقدمة، ومدخل، وثلاثة أبواب، وخاتمة، إقتراحات.

أما الباب الأول:

إميل حبيبي شخصيته وفنه، وجعلته ثلاثة فصول.

يدرس الفصل الأول: شخصيته وجوانب حياته المتعددة ثقافيا وأدبيا. ويتناول الفصل الثاني أعماله الأدبية القصة ، والرواية والمسرحية، ويدرس الفصل الثالث : إميل حبيبي والنضال الفلسطيني، فيقف عند نضاله الحقيقي والمؤثر بالأدلة والبراهين وبعض الشكوك حول نضاله وتقييمها والرد عليها في منظور نقدى حقيقى.

أما الباب الثاني: دراسة القضية الفلسطينية في ضوء ثلاث روايات، خلاصها وأبعادها. وأبرز القضايا والأفكار والجوانب المثيرة التي جسدها إميل حبيبي للقضية الفلسطينية ويتناول دراسة الجوانب الفنية للروايات هذه.

وجاء في ثلاثة فصول. هذا الباب هو جوهرهذا البحث والجدير بالذكر أننى لا أعالج جميع رواياته وذالك يطلب وقتا طويلا وحجما كبيرا وثقافة واسعة.

أما الباب الثالث والأخير: تأثير روايات إميل حبيبي في القضية الفلسطينية، فيه ثلاثة فصول الفصل الأول يتناول تأثير روايات إميل حبيبي على بث الوعى بالكفاح الوطنى، ويتناول الفصل الثاني دراسة مدى تفاعلات محتويات الروايات مع النضال الشعبي، والفصل الأخير يحاول دراسة رؤية إميل حبيبي الشفافة وتعبيرها في العصر الحاضر. وانتهى البحث إلى خاتمة تضمنت خلاصة البحث وأبرز ما تم التوصل إليه من نتائج واقتراحات.

آمل أن أكون قد وفقت بعض التوفيق في تناول جوانب هذا الموضوع واستطعت أن آفي القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وبذلت كل ما استطعت من جهد لتعطى هذه الدراسة الثمرات المرجوة منها.

والله ولي التوفيق.

الشكر والتقدير

في إعداء هذا البحث، قبل كل شئ، أولا أقدم الشكر إلى الله عزوجل الذي وفقنى التوفيق في تناول هذا الموضوع وإكماله بفضله وعونه، هناك جهود وتعاون وتساند قام به العديد من زملاءنا في هذا البحث، نقدم لهم الشكر والتقدير وندعو أن يجزيهم الله أحسن الجزاء.

أما اختياري وانتباهي إلى الأديب إميل حبيبي ورواياه قد لاح لنا عندما كنت أنصت إلى محاضرة الأستاذ المشرف د. مجيب الرحمن حول تطور الرواية في الدول العربية لما تحدثت عن كتابة البحث حول الموضوع " القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي فأعجب به إعجابا شديدا، وأشادني بكتابة حول هذا الموضوع. ومنذ ذالك اليوم أخذت رحلتي هذه ، تتسم بسمات البحث تدريجيا، بحيث كنت أحاول أن اغتنم كل فرص لتوسيع معرفتى عن هذه الشخصية الفريدة.

في هذا الصدد، أخص بالشكر والتقدير العالي لأستادي ومشرفي د. مجيب الرحمن، لإشرافه وإرشاداته القيمة وتوجيهاته الغالية. دائما تشجيعاته واقتراحاته القيمة كانت نبراسا لنا في متابعة درب المستقبل. أدعو الله عزوجل أن يجزيه عني خير الجزاء أعبر حبي وامتناني من صميم لقلب لأمي وأبي وإخوتي وأخواتي، بدون تشجيعهم وعواطفهم ودعاءهم ما استطعت أن أصل إلى هذا المستوى العلمي.

هناك أسماء عديدة تستحق الذكر وأحاول أن اسميهم ولكن لااستطيع ذكرجميعهم لكثرة عددهم وضيق المكان. وهذا يؤسفني أن تغيب عني الأسماء في هذه اللحظة حيث كان لهم الفضل في تزويدي بالمعلومات والإرشادات فمن المستحسن أن أوجه الشكر خالصا إلى الذين أسميهم وإلى الذين ستغيب عنى أسماءهم حتى لاأفرق فيما بينهم. وأقدم الشكر إلى الأخ عطاء الله السنابلي، ثناء الله التيمي، محمد ريحان الندوي، محمد سليم ، محمد كريم، محمد شافعى، إرشاد أحمد، محمد ميكائيل، عبيدالرحمن، ضياء الحق، آفتاب عالم محمد كليم، محفوظ الرحمن، ولابد لي أن أقدم الشكر الخالص إلى حفيظ الرحمن السنابلي لجهوده القيمة الغالية في تصميم أطروحتى وتصحيحها. جزاهم الله أحسن الجزاء.

ولايفوتنا أن نذكر بعض المؤسسات والمكتبات التي ساعدتني في إكمال هذه الدراسة مثل مكتبة جواهر لال نهرو، مكتبة جامعة دلهى، أشكر رجالها الكرام الذين مهدوا لاستفادة منها.

وفي الأخير أوجه الشكر الخالص لكل من تعاون وتشجع على إعداد هذه الرسالة. وأنهي هذه الكلمات داعيا إلى الله أن يجزيهم جميعا أحسن الجزاء وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

الباحث

محمد فيصل بن عبدالستار

جامعة جواهر لال نهرو

19/07/2012

المدخل إلى الموضوع – عرض تاريخي للقضية الفلسطينية وتجلياتها في الرواية العربية

إن من يراقب القضية الفلسطينية يقف بأنها حدث تاريخي ، ليست قضية عربية فلسطينية فحسب بل هي قضية إنسانية ، تنم عن نوايا خبيثة للقوى الغربية و على رأسها أمريكا و بريطانيا منذ أن تعرضت فلسطين و لا تزال لهجمة استعمارية و صهيونية ، هي أكبر تحد واجهته الأمة العربية في العصر الحديث و تعتبر من أهم القضايا الراهنة المطروحة على الساحة الدولية .

قبل الولوج في صميم الموضوع " القضية الفلسطينة في ضوء روايات إميل حبيبي" ينبغي لنا أن نقف وقفة يسيرة لاستعراض المراحل التاريخية التي مرت بها القضية الفلسطينة لتوضيح هذه الحقيقة .

هذا و من الثابت تاريخيا بأن التنافس الاستعماري الأوروبي كان يشتد في نهاية القرن الثامن عشر لاستعمار الدول الشرقية بما فيها الدول العربية والإسلامية ، و السيطرة على طريق الهند الاستراتيجي و يشكل عاملا أساسيا لرسم سياسات الدول الأوروبية .

حاول اليهود بدعم أوروبي متمثلا في ألمانيا وبريطانيا ممارسة الضغط على الخلافة العثمانية لانتزاع ميثاق من السلطان عبد الحميد الثاني يمنح

اليهود حق الاستيطان في فلسطين والسماح بهجرتهم إليها غير أن السلطان العثماني رفض الضغوط الأوروبية و إغراءات اليهود .

و في الفترة ما بين عامي ١٩٠٠-١٩٠١ أصدر السلطان عبدالحميد أمرا بمنع المسافرين اليهود من الإقامة في فلسطين لأكثر من ثلاثة أشهر ، كما أمر بمنع اليهود من شراء أي أرض في فلسطين ، خشية أن تتحول هذه الأراضي إلى قاعدة لهم تمكنهم من سلخ فلسطين عن بقية الجسد المسلم وفي عام ١٩٠٢ م تقدم اليهود بعرض مغر للسلطان عبد الحميد يتعهد بموجبه أثرياء اليهود و بوفاء جميع ديون الدولة العثمانية وبناء أسطول لحمايتها، وتقديم قرض بقيمة ٣٥ مليون ليرة ذهبية لخزينة الدولة العثمانية المنهوكة ، إلا أن السلطان رفض هذه العروض وكان رده كما جاء في مذكرات ثيودور هرتزل (أنصحه ألا يسير أبدا في هذا الأمر لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي ، و لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بدمائه ، و قد غذوها فيما بعد بدمائهم ، و سوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا ... ليحتفظ اليهود ببلاييهم ، فإذا قسمت الإمبراطورية ، فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل ، إنما لن تقسم إلا على جثتنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان [1] .

و عندما أيقن اليهود بفشل جميع المحاولات الممكنة بدأوا بالعمل على إسقاط الخلافة العثمانية حيث استطاعوا التسرب عن طريق طائفة من يهود الدونمة

[1]. سمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر 1984 ج 1، ص 128.

التي تظاهر أفرادها بالإسلام و حملوا الأسماء التركية ،وحملوا في "جميعة الاتحاد والترقي" و وصلوا إلى الحكم سنة ١٩٠٧ م ، وتصاعد النشاط الصهيوني في فلسطين بدعم من أنصار الاتحاد والترقي ويهود الدونمة الذين سيطروا على مقاليد السلطة في الآستانة حيث سمح الحاكم العثماني الجديد لليهود بالهجرة إلى فلسطين وشراء الأراضي فيها ، مما فتح أمام المنظمات الصهيونية فرص البدء بالنشاط العملي على نطاق واسع حتى سقطت الخلافة رسميا سنة ١٩٢٤م واحتلت الجيوش البريطانية فلسطين – بعد ذلك نرى بأن المصالح الاستعمارية الأوروبية أصبحت مشتبكة مع المصالح الصهيونية في انتزاع فلسطين من العرب وإقامة وطن قومي لليهود ، وبالإضافة إلى ذلك فإن قادة أوروبا عرضوا على اليهود إقامة وطن لهم في فلسطين وعلى الأخص من جانب فرنسا وبريطانيا في محاولة للتخلص من المشكلة اليهودية في أوربا وتحقيق مكاسب استعمارية من الدولة العثمانية[2] .

كان التنافس الاستعماري بين بريطانيا و فرنسا واضحا جليا في الشرق الأوسط حتى قبل قيام الحركة الصهيونية وكان هدف كل منهما حماية مصالحها في المنطقة ، و ملاحقة الدول الأخرى من أجل إيذاءها أو منافستها على تلك المصالح وإيجاد الوسائل المختلفة التي تحمي مصالحها و اعتقدت بريطانيا بعد فشل نابليون بونابارت في مصر وبلاد الشام ، أنه من

[2] . Believers And brothers : A History of Uneasy relationship , By Israr Hasan , Appendix E Balfour – 1917

المفيد إيجاد بدائل أخرى في الشرق الأوسط لإقامة تفوقها على فرنسا ، وقد وجدت في فلسطين مكانا ملائما لبسط نفوذها بسبب الموقع الجغرافي الذي تمتع به فلسطين وسط الوطن العربي وباعتبارها البوابة التي تربط بين آسيا وإفريقيا ، و لهذا فان من مصلحة الاستعمار الأوروبي والبريطاني بالذات ، فصل الجزء الآسيوي عن

هكذا استمرت الجزء الإفريقي من الوطن العربي ، و خلق ظروف لا تسمح بتحقيق الوحدة بين الجزئين في المستقبل ، المؤامرة من قبل الاستعمار الأوروبي والصهيوني لاغتصاب فلسطين .

موجزا نقول احتلت الصهاينة على أرض فلسطين في عام ١٩٤٨م بموجب التخطيط الدقيق ، ومنذ ذلك الوقت دخلت القضية الفلسطينية في أروقة السياسة العربية .

من المعروف جدا بأن القضية الفلسطينية مرت بتقلبات وتحولات من حين إلى آخر ، أصبحت قضية فلسطين معقدة عندما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا مشؤما في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ م بتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين عربية ويهودية ، وقد اندلعت الحرب في ١٩٤٨م فور صدور قرار التقسيم وتحمل أبناء فلسطين أعبائها و كانت في ذلك الوقت حماسة أبناء فلسطين - أبناء الشعوب العربية والإسلامية -هائلة نحو الجهاد و البذل والتضحية ، و من ثم أعلن اليهود عن إقامة دولة إسرائيل في مساء ١٦ مايو ١٩٤٨م و استولوا على حوالي ٧٨% من أرض فلسطين ، لقد

مزقت حرب ١٩٤٨م القوة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية للشعب الفلسطيني .

و مما زاد الطين بلة أن حرب يونيو ١٩٦٧ لم تكن حربا عفوية إنما كانت حربا عدوانية مدبرة من جانب اليهود ، وتحالفت فيها قوى الاستعمار من أجل إزهاق الحق العربي بعد أن شردت آلاف الأسر الفلسطينية و نهبت آلاف الديار و قتل ألوف منهم على أيدي القوات الإسرائيلية العدوانية و الغاشمة غير أن إسرائيل لم تستجب لأي قرار أصدرته الأمم المتحدة في حق هؤلاء المشردين بل أمعنت إسرائيل في غيها وظلالها و بغيها و عدوانها.

قبل عامين ظهرت للعيان الإجراء العسكري الذي قامت فيه إسرائيل بضرب غزة ، بعد حصار طويل ، قصفت فيه سكان هذه المنطقة المتأخمة لحدود مصر البلد المتصالح مع إسرائيل وقد كان الحصار أشد من الحرب ، ثم قامت إسرائيل بالقصف الجوي العشوائي لهذه المنطقة قتل فيها الأطفال و النساء ، و دمرت أكثر من أربعين مسجدا و مثل هذا العدد من المستشفيات والمدارس ودام هذا الاعتداء الذي يتعارض مع سائر قوانين الحرب أكثر من أسبوعين ، و بالإضافة إلى ذلك استخدمت في القصف قنابل الفوسفورس المحرمة دوليا و لكن واجه شعب هذه المنطقة رجالا و نساءا و أطفالا هذه الهجمات الشرسة بكل صمود و قوة و عزيمة إيمانية .

وهذه هي السياسة العالمية حيال فلسطين وقضيتها و شعبها و حصار غزة و معاناة أهلها، و للأسف الشديد ، فإن الموقف العربي تجاه هذه القضية ليس فيه إلا كلام بعد كلام و حسرة بعد حسرة ، و هو موقف ينم عن مدى ضعف و خواء العالم العربي .

المقاومة الشعبية " نظرة عابرة "

تحدث المقاومة عندما يشتد الظلم والقهر والاغتصاب ، إذا لم تكن المقاومة فيعم الظلم في كل البلاد ، نظرا لهذه المقاومة مارس الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩١٧م وحتى اليوم ، أشكالا متعددة من النضال ضد الاستعمار البريطاني الصهيوني ،و قد اتسمت كل مرحلة من تاريخ الشعب الفلسطيني بتقدم أحد الأشكال على الأخرى .

و كانت المقاومة الشعبية هي الشكل الأبرز ، وفي أعوام ١٩٤٧-١٩٦٩م كانت الحرب النظامية مع العمل الفدائي المحدود هي التي ميزت شكل المواجهة بين العرب و فلسطين من جهة و بين المستعمرين البريطانيين والصهاينة من جانب آخر ، ومنذ ١٩٤٨م و حتى العام ١٩٦٥م كانت انطلاقة الثورة الفلسطينية التي شكلت انطلاقتها الرصاصة الأولى و عملياتها النوعية مدرسة نضالية أعطت في العام ١٩٧٤م السمة الأبرز هي التوجه للأمم المتحدة للرئيس الشهيد ياسر عرفات الذي حمل غصن الزيتون بيد و بندقيته الثائرة باليد الأخرى للمطالبة بتطبيق قراراتها ،كما شهدت أشكال النضال العربي مسيرات ، مؤتمرات و إضرابات ضد التوطين و الأحلاف العسكرية .

و ما انتفاضة يوم الأرض عام ١٩٧٤م إلا نموذجا ساطعا لشعبنا للنضال المسلح الذي خاضته الثورة الفلسطينية بكافة فصائلها ، وأتت انتفاضة عام ١٩٨٧م بينما كان الكفاح المسلح هو السمة الأبرز لفصائل الثورة ،حيث

أعطت هذه الانتفاضة خارطة طريق بإتجاه المواجهة مع الاحتلال و من بين عام ١٩٨٨- ١٩٩٣م كانت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية بكل مكوناتها من أساليب المقاومة الشعبية باعتبارها الشكل الرئيسي للمواجهة.

بعد أوسلو تمت مؤسسة الصراع من أجل احتواء واستيعاب الانتفاضة الأولى وخاصة في ظل تطورات على الصعيد العربي ، ولكن هذه الغيمة لم تطل حيث أخذت الصورة تتغير مع اندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول ٢٠٠٠م و منذ ذلك التاريخ اتسمت المواجهة بتعايش أشكال متعددة للمواجهة وقدم الرئيس ياسر عرفات حياته في هذه الانتفاضة المجيدة بعد أن رفض التوقيع على التنازل عن حق العودة والقدس و حدود الدولة الفلسطينية في كامب ديفيد و تم محاصرته على مدار أربع سنوات ليتم اغتياله .

و نحن اليوم نعيش مرحلة التطورات والمتغيرات على مستوى القضية الفلسطينية والمنطقة العربية التي تشهد عملية التعبير الديموقراطي التي فرضتها ثورات الشعوب العربية ، و أما السياسة الأمريكية الصهيونية فلا تزال تستمر في التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني و تمارس كافة أشكال الإرهاب المنظم من خلال الاحتلال على أرض الوطن ومواصلة الاستيطان ، نرى أن المقاومة الشعبية تشكل الأسس والمفاهيم والدروس التي تساعد على ضرورة رسم استراتيجية وطنية تستند لكل أشكال النضال ، خاصة في

ظل هذه التجربة الغنية للكفاح الفلسطيني من أجل استعادة حقوق الشعب الفلسطيني والحرية و الاستقلال والعودة .

ونحن إذنتحدث عن المقاومة الشعبية نؤكد أن معظم الشعوب المكافحة ضد الاستعمار والاستغلال خاضت أشكال عديدة من الكفاح والمواجهات مع أعدائها سواء تعايشت تلك الأشكال معا، في مرحلة معينة أم تتابعت عبر مراحل النضال الطويلة و من هنا أرى أن ما أخذته بعض القيادات الفلسطينية من مواجهة سياسية التطبيع يشكل حالة مميزة على المستوى الفلسطيني في إطار المقاومة الشاملة .

لذا فإن المقاومة الشعبية في بلين و نعلين والمعصرة والنبي صالح و في القدس شكلت على امتداد سنوات محطة نضالية مهمة ، و لكن هي بحاجة إلى التطوير والتفعيل من خلال مشاركة الجميع فيها باعتبارها تستطيع ممارسة النضال الشعبي بمواجهة الاحتلال والاستيطان وبأقل الخسائر.

و تشكل دعما رئيسا للتحرك الدبلوماسي والسياسي و تطوير ذلك بأشكال أخرى على المستوى الاجتماعي والتنموي والثقافي والفكري والاقتصادي وخاصة أن الانتصارات الدبلوماسية التي تحققت بعد كلمة الرئيس محمود عباس في الأمم المتحددة لجهة الاعتراف اليونسكو بدولة فلسطين رغم كافة المحاولات الأمريكية والصهيونية التي حاولت عرقلة هذا الجهد ، يؤكد أهمية النضال الذي يفرضه الشعب الفلسطيني من أجل رسم خارطة فلسطين المستقبلية .

إن الشعب الفلسطيني الذي قدم مثالا ساطعا في المقاومة الشعبية من خلال التضحيات الجسام التي رسمها دماء الشهداء تحظى بمساندة عالمية جبارة أيضا تعزز ثقتها بقدراتها ليس على تصعيد مقاومتها وتطويرها بل وعلى انتصارها وتحرير شعبها من احتلال ، و عليها أيضا إدراك و تقييم هذا الاسناد وهذه القوى العالمية و المساهمة في نشاطاتها و تطوير وعيها و تجاربها، و يبقى السند الرئيس للمقاومة الشعبية هو سعة قاعدتها الاجتماعية أولا و هذا لا يتم إلا من خلال تنشيط وتوسيع النضالات الجماهيرية من أجل مطالبها و مساهمة المقاومة في هذه النضالات ودعمها وتطويرها و حمايتها ؛ الأمر الذي يتطلب تعزيز قدراتها وأساليب كفاحها .

إن الكفاح المسلح هو شكل رئيسي من أشكال المقاومة لنيل الشعوب استقلالها وحريتها وطردها للمستعمر، لم يخرج محتل من أرض يحتلها إلا عن طريق القوة و تحويل مشروعه الاستعماري الاحتلالي الى مشروع خاسر بالمعنين الاقتصادي و الديموغرافي .

وفي الأخير يمكن أن نقول إن المقاومة الشعبية التي تواجه اليوم الاحتلال الإسرائيلي و استيطانه و كل أدواته الإجرامية من إرهاب و تهويد ، تستوجب مجابهة مجتمعية شاملة ترتكز لاستنهاض كامل طاقات الشعب الفلسطيني بجميع مكوناته ، و لا ينبغي التقليل من أهمية أي شكل من أشكال المقاومة سواء كانت مقاومة سلمية أو جماهيرية أو ثقافية أو سياسية أو اقتصادية أو إعلامية .

تجليات القضية الفلسطينية في الرواية العربية

وقد حظيت هذه القضية باهتمام الأديب منذ وعد بلفور الذي اعترف بحق اليهود المزعوم في إنشاء وطن قومي لهم ، و ما جره هذا الوعد من مآسي منها الهجرة اليهودية إلى فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، و ما أسفر عنه من احتياز الأراضي والاستيطان اليهودي وتشكيل العصابات اليهودية التي مارست ألوانا من الإرهاب لقمع النضال الفلسطيني .

قدعبر الأدباء العرب عامة والفلسطينيون خاصة عن هذه المرحلة ، فنبهوا إلى الخطر المحدق و مجدوا كفاح أبناء الوطن ، وصوروا البطولات والتضحيات ونادوا أبناءه بأن المقاومة والصمود هي التي تحيي القضية و تجعلها حية ماثلة لدى الرأى العالمي وتزلزل الصهاينة ، و كلها تنعكس في الروايات العربية التي تصور الغزو الفكري و العسكري ومعاناة الشعب الفلسطيني والصمود في وجه العدوان .

ألهبت قضية فلسطين، منذ بداية الصراع مع الحركة الصهيونية، شعراء العرب على اختلاف انتماءاتهم القطرية ، وليس أدل على ذلك من أن المرء يجد في تاريخ الثورات الفلسطينية "السوري والمصري و العراقي و المغربي واليمني كتفا إلى كتف الفلسطين في معركتهم المصيرية الواحدة"[3].

[3]. أبو إصبع ، صالح ، " فلسطين في الرواية العربية " ، ص ١٥ .

وقدبلغت تلك المشاعر ذروة تعبيرها الأدبي في مرحلة الخمسينات التي سادت فيها المسألة الفلسطينية بحيث غدا الأدب العربي أدبا فلسطينيا إلى حد ما ، ولعله من المهم الإشارة هنا أن تأثير القضية بالنسبة إلى أدباء الأقطار العربية المحيطة بفلسطين كان أشد قوة و كثافة وغنى من تأثيرها بالنسبة إلى أدباء الأقطار العربية الأخرى[4] .

ولئن كان الشعر أكثر فنون ذلك الأدب تفاعلا مع القضية حتى نهاية الخمسينات تقريبا ، فإن الرواية العربية سرعان ما أبدت اهتماما بها وسرعان ما وحدت فيها أيضا وسيلة للتعبير عن إحساس

المثقفين العرب عامة لضياع جزء عال ومقدس من الأرض العربية و لهجاء الواقع العربي بتجلياته عامة ،و إلى حد يمكن القول معه " إنه ما من قطر عربي إلا وقد شارك برواية أو أكثر في هذا المجال "[5] .

ومن هنا أريد بصفتي باحثا أن أستجيب لسؤال يتردد أمام الدارسين في هذا الصدد و هو تفوق الشعر على النثر في تناول القضية الفلسطينية ، هذا من الثابت أدبيا بأن الشعر من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على تجلي الفعل المقاوم فهذا رسول الدفاع عن الأرض كما يشير إليه محمود السيد في ندوة ألقى فيها محاضرة حول " تجليات المقاومة في الشعر العربي" ، و لكن لا يمكن أن يتعاضى أحد عن أهمية النثر خاصة الرواية ، على الرغم من أن

---

[4]. أنظر اليافي نعيم ، " التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث " ، ص ٣٠٦ .

[5]. عبد الله ، محمد حسن ، " الريف في الرواية العربية " ، ص ٢٤٧ .

صياغة الرواية تحتل مساحة طويلة ، تكون أكثر قوة و تفاعلا على إثارة المعاني الثورية للمجتمع و أشد إيقاعا في قلوب القراء و الدارسين و ذلك بتصوير الواقع في صورة حقيقية موحية و خلق الشخصيات أو الأبطال كأنما ننظر في صورة تلقائية سينيمائية ، و يقول د . عصفور جابر : "الرواية هي الجنس الأقدر على التقاط الأنغام المتباعدة المتنافرة ، المركبة المتناثرة الخواص لإيقاع عصرنا"[6] في منظور نقدي حقيقي لكل منها أهمية خاصة في بيان القضية الفلسطينية .

وهذه القضية ليست مقتصرة في رواية أو أكثر بل هي أصداء رواية الشتات و رواية الأرض المحتلة ، إن من يتأمل في القضية الفلسطينية المتجلية في الرواية العربية يجد رواية "لاجئة " لجورج حنا أول رواية عربية تتحدث عن قضية فلسطين ولكن لمن اللافت للنظر أن النتاج العربي المعنى بالقضية نفسها ، الذي تلا هذه الرواية ، لا يعكس اطرادا في الكم يتناسب والسنوات التالية لصدورها حتى الهزيمة الحزيرانية ، و اطراد أيضا في وعي الأسباب التي أدت إلى هذه الهزيمة .

و من الجدير بالذكر أن المحتوى الإنساني للقضية ، ولا سيما بعد هزيمة حزيران دفع عددا غير قليل من كتاب الرواية في أكثر من الجغرافية الإنسانية إلى التفاعل مع الموضوع الفلسطيني داخل الأرض المحتلة وخارجها في أعمال روائية متفاوتة .

---

[6]. عصفور، د . جابر ، " زمن الرواية – المفتتح " ، مجلة " فصول " ، القاهرة ، ج 11 ، العدد 4 ، 1993م ، ص 5 .

أما النتاج الروائي العربي الذي عني بالقضية الفلسطينية ولا سيما ما يتصل بالظاهرة ظهرت عدة روايات منها " ستة أيام " لـ حليم بركات ، الروائي السورى و رواية المصري فتحي سلامة " المزامير " و رواية أديب نحوي " عرس فلسطين " [7].

[7]. د . نضال الصالح ، " نشيد الزيتون قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية ، ص ٣٧ .

في رواية الشتات الفلسطيني

إن الفارق بين رواية الشتات الفلسطيني و رواية الأرض المحتلة ، هو أن رواية الشتات تصور في الأغلب حنين الفلسطيني إلى الأرض التي اقتلع منها و تتغنى بماضيه فيها ، و رواية الأرض المحتلة في الأغلب تتحدث عن فلسطيني الداخل الذي يتمسك بأرضه ، و تدعوه إلى الاصرار على البقاء فيها ، رغم محاولات الاحتلال لنفيهم من الأرض ، نود أن نشير إلى الروايات التي تتناول هذه القضية بمثابة حنين الفلسطيني إلى الأرض والتشوق إلى العودة فيها ، منها " ما تبقى لكم " لغسان كنفاني ، و"الكابوس" لأمين شنار ، و"أم سعد" لغسان كنفاني ، و"عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني ، "السفينة" لجبرا ابراهيم جبرا ، "أيام الحب و الموت" لرشاد أبو شاور ، "صيادون في شارع ضيق" لجبرا ابراهيم جبرا ، "العشاق" لرشاد أبو شاور ، "الباشا" لأفنان القاسم ، "البحث عن وليد مسعود" لجبرا ابراهيم جبرا ، و "بير الشؤم" لفيصل حوراني ، و "عصافير الشمال" لعلي حسين خلف .

والقضية التي تتصل بروايات الأرض المحتلة هي أشد قوة في التعبير عن ثقافة المقاومة والصمود في وجه الصهاينة و تجدر الإشارة هنا بأن الاحتلال الصهيوني لم يكن مجرد حلقة متصلة في سلسلة الغزو الاستعماري الذي تعرضت له هذه الأرض ولم يكن أيضا مجرد عدوان

عسكري استيطاني ، و إنما كان شكلا جديدا من أشكال الوجود العدواني القائم على نفي الآخر بشريا واجتماعيا واقتصاديا وحضاريا وثقافيا [8].

هكذا كانت فكرة اغتصاب فلسطيني فكرة قديمة ، و تكشف عن مدى حقد الصهاينة القديم و البغض الدفين للعرب ولا تزال تمارس إسرائيل الغزو العسكري ضد الشعب الفلسطيني ظلما و عدوانا .

ولايصدق أحد ما ترددده دوائرالاستعمار من أن الصلح مع اليهود سيقر الأمن والسلام في الشرق الأوسط كما تزعم الدول الاستعمارية و ستضع حدا للمطامع اليهودية في بقية الأقطار الأخرى منذ عقدين من الزمان ، تستمر مهزلة مفاوضات أو محادثات السلام عن هذه القضية ولكن الفلسطينيين لم ينالوا ولن ينالوا خيرا من ورائها ، لأنها خطة صهاينة أمريكا لفرض مزيد من الاستعباد على الفلسطيني ، و تثبيت الاحتلال و تهويد ما بقي من الأرض ، و ابتلاع ما بقي من الديار

و تشريد و جلاء من بقي من الفلسطين و تقتيل من ما بقي من الشباب ، نظرا لهذه الأوضاع الحرجة ، هناك روايات عدة فيها علاج و شفاء لهذه القضية لأنها تتسم بروح المقاومة و الصمود والتشبث بالأرض ، و إن استعادة الحق الفلسطيني لا تتم بغير المقاومة و أن التشبث بالأرض هو الطريق الوحيد لإقامة فلسطين من رماد الموت ، الآن نقدم عدة روايات

[8]. الخطيب ، حسام ، " الثقافة و التربية في خط المواجهة " ، ص ٤٨ .

بشئ من الإيجاز التي تنطق بلسان المقاومة والحب والتشبث بالأرض والقضية الفلسطينية بمختلف نواحيها .

"حارة النصارى " كتب هذه الرواية نبيل خوزي ، على الرغم من العيوب الفنية في الرواية فإنها تمجد حب الأرض و تحاول تعزيزه في القارئ الذي تخاطبه الرواية ، و إن كانت تقدم له مستوى واحدا فحسب ، هو المستوى العفوي أو الفطري ، و هي كما تمنح شخصية يوسف بطولتها المطلقة ، تجعلها بأن الممثلة الأولى والأهم في التعبير عن ذلك الحب ، وفي وقت مبكر من حياتها ، لقد كانت أول كلمة تسمعها " أسمى" من يوسف " يجب أن نقاوم " و لم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، و لم يكن أيضا قد تجاوز العشرين عندما أثار حماسة الناس .

ومن الشخصيات التي تجسد القضية في الرواية والد أسمى ، و على نحو أشد رومانسية من يوسف ، فعلى الرغم من أنه يقول لإبنه سمير خلال الإضراب : "أنا و قريتي و كل فلسطيني اليوم يدافع عن أرضه و كرامته و مستقبله " ، فإنه لا يحول ذلك القول إلى فعل يؤكد من خلال إيمانه بانتصار الحق الذي يثق به " لا شيء أقوى من الحق يا بني " هذا وطننا وهذه أرضنا ولن ينزعها أحد منا " [9].

[9]. د . صالح نضال ، " نشيد الزيتون " قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية ، ص٦٩ .

الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل

حظيت هذه الرواية فور صدورها في كتاب واحد[10] (٢) باهتمام النقاد العرب و تقديرهم الكبير أيضا ، فقد عدها كثيرون عملا روائيا يكاد يكون نسيج وحده في الرواية العربية عامة ،و الفلسطينية خاصة[11].

ودفع إعجاب أحدهم بها إلى القول إنها معجزة روائية لا رواية فحسب "[12] .

ومن اللافت للنظر أن تقدير أؤلئك جميعا للرواية انطلق من سمة وحيدة فيها لا غير ، هي العناصر التي استخدمها الكاتب في بنائهاالفني .

هذه الرواية تعد من الروايات الفلسطينية التي وضعت و صورت حياة الفلسطيني في ظل الاحتلال الغاشم الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨م على مدى عشرين عاما ، كما شكلت هذه الرواية درسا في النضال الوطني ، وأرخت للشعب الفلسطيني اجتماعيا وسياسيا و أدبيا عبر مراحل قضية خلال الأعوام ١٩٤٨، ١٩٧٢م .

لقد لقيت الرواية اهتماما كبيرا من قبل الباحثين ، ليس فقط لأنها من الأعمال الروائية الأولى التي تصلنا من الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م بل لأنها تثير قضايا أدبية و نقدية و سياسية جديدة ، و تعد هذه الرواية علامة بارزة في

---

[10] تتألف الرواية من ثلاثة كتب نشرت في مجلة الاتحاد التي تصدر داخل الأرض المحتلة في حيفا ، الكتاب الأول نشر مطلع١٩٧٢ م بعنوان يعاد ، والثاني بعنوان باقية نشر أواخر العام بنفسه والثالث بعنوان يعاد الثانية نشر أواسط ١٩٧٤م .

[11]. للتوسع أنظر : أبو مطر ، أحمد ، " الرواية في الأدب الفلسطيني "، ص٢٩٦ .

[12]. الخليل ،ابراهيم ، " في القصة و الرواية الفلسطينية ، ص ٩٠ .

مسار الرواية الفلسطينية و العربية ، و تنطوي على أمرين الأول: أنها تضيف جديدا على صعيد الشكل و البناء .

فالكاتب يستخدم آليات جديدة يؤظفها بطريقة تتناسب مع ثقافة الآخر لمخاطبته الثاني : أنها تعالج بهذه الوسائل قضيتنا المعاصرة فيما يتعلق بالوجود الفلسطيني على أرض فلسطين و قدرة هذا الوجود في التعامل مع الواقع الجديد ، إن هم الرواية الأساسي و فكرتها الرئيسية يكمن في إظهار صورة من نضال الشعب العربي الفلسطيني في وجه العدوان و الاضطهاد العنصري والقهرالاجتماعي وفضح أساليب المحتل .

الصبار: كاتب هذه الرواية سحر خليفة يصور فيها الحياة اليومية لعرب الضفة الغربية بعد خمس سنوات من هزيمة حزيران التي مكنت الاحتلال من ابتلاع ما بقي من أرض فلسطين وما يميز هذه الرواية، و فيما يتصل بالقضية، من نتاج الأرض المحتلة خاصة، و من النتاج الروائي الفلسطيني عامة، تقديمها لثلاثة نماذج: الفلسطيني المؤمن بأرضه و بقدرته على النهوض من الرماد لمواجهة الاحتلال .

وثانيا : الفلسطيني الذي ذوبه الاحتلال في أتون المعيشي – اليومي بعيدا عن الأرض و

قضيتها، و ثالثا : الفلسطيني الجاحد بهذه الأرض ، اللاهث وراء ما هو خاص به[13] .

نجد في هذه الرواية من خلال بطلها " أسامة الكرى " الشباب المثقف العائد إلى وطنه فلسطين بعد خمس سنوات من اغترابه عنه بمهمة كان تنظيمه السياسي المقيم خارج الأرض المحتلة قد كلفه بها و الرواية تتكلم عن علاقة أسامة بالأرض والحب والحنين لها ، مما وصل أسامة مدينة نابلس ، حاول أحد الجنود الصهاينة عند مشارفها تغييرا إسمها العربي إلى آخر عبري .

وهو يستجوب أسامة عن سبب مجيئه إليها ؟ إذا درس أحد هذه الرواية وجد عقيدة التمسك بالأرض والحنين لها و الرفض التام للاحتلال .

" أيها الجحيم أيها الملك " تشتمل هذه الرواية على ست لوحات وكل لوحة تصور مرحلة محددة من تاريخ القضية الفلسطينية ، يتكون بعض تلك اللوحات من مقاطع عدة ، ومن أهم ما يميز الرواية ولعله يمنحها خصوصية في المنجز الروائي الفلسطيني ، هو أن الأرض الفلسطينية نفسها تؤكد انتمائها إلى ما هو حقيقي في التاريخ ، إلى ما هو فلسطيني و كل هذه الروايات مظهر من مظاهر المقاومة ، و الصمود في وجه الاحتلال و التشوق إلى استعادة الحق الفلسطيني بعزم و قوة .

[13]. د . صالح نضال ، " نشيد الزيتون – قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية "، ص ٧١ .

الباب الأول – إميل حبيبي : شخصيته و فنه

النظرة الخاطفة على القضية الفلسطينية تكشف عن مدى حقد الصهاينة القديم للعرب ، و لا تزال تمارس إسرائيل الغزو العسكري ضد الشعب الفلسطيني و منذ أن تعرضت فلسطين للاحتلال الصهيوني إنها ذاقت ألوانا من العذاب للشعب الفلسطيني ، زفت فيها الدموع أكثر من ماء المطر و قد زاد الطين بلة إن هذا الاحتلال يتحدى كل القوانين والأعراف الدولية و القرارات الأممية التي ظل يضربها دائما عرض الحائط ، و لمقاومة الاضطهاد الصهيوني نهضت الشخصيات الكبار في فلسطين ، فأثاروا روح المقاومة والنضال في نفوس الأبناء الفلسطينيين ، هناك قائمة طويلة للأدباء والكتاب العرب الذين خاضوا معارك في بث النضال و نفخ الأمل في استعادة الحق الفلسطيني منهم

أبو شاورر شاد و بدر لبانة و إميل حبيبي و جبرا ابراهيم جبرا و خليفة سحر و سميح القاسم و غسان كنفاني و يحي يخلف ، و من هؤلاء شخصية إميل حبيبي الذي أثار هذه القضية الفلسطينية بطريق أحسن في رواياته و ناشد من أجل الحرية و الاستقلال ، لا نبالغ إذا قلنا إنه معلمة فريدة و نداء العصر الحاضر لا يجود الزمان بمثله في كل ألف عام ، و رواياته تقدم أمثلة رائقة للمقاومة و ثبت في نفوس القراء روح التفاؤل والنضال الدائم ضد الأعداء و إنها تقول : إن للحق رنينا صادقا يتميز به عن كل رنين و الأمل بانتصار المظلومين مهما اشتد الظلام ، روايات إميل حبيبي تقول إن

القضية الفلسطينية تحتاج إلى مجهود موحد و وعي على أساس خطة و تنسيق جهود و تضامن والرؤية التي تفاءل بها إميل حبيبي من خلال رواياته تكون حسنا وخيرا في حق الشعب الفلسطيني كما أن هذه الأيام تشهد لذلك ، و قد ازدادت أهمية هذه الشخصية وصلته في هذا العصر الراهن لأنه كان مناضلا و متفائلا وتحتاج أرض فلسطين أن تذكر دائما هذا البطل العظيم ، و كل ما تفاءل به إميل حبيبي يكون أصدق تمثيل كما تتجلى أصداءه في رواياته ، سنقدم عنه بشئ من التفصيل في الفصل الأول عن شتى مقوماته وعن عبقريته وفنه ونضاله .

وتقول رواياته للشعب الفلسطيني إمضوا في مقاومتكم و نضالكم ، و في روايات إميل حبيبي نجد صوتا كبيرا عاليا لاستقلال فلسطين و حريتها المنشودة انه كتب بروح المقاومة أكثر قوة ، وهو روائي متفاؤل غير متشاءم .

كان يعتقد بنجاح الانتفاضة و الذي يبث الأمل في الشعب و بالتالي تتميز رواياته بقوة الدفاع عن فلسطين و حضهم على المقاومة على أسس سليمة .

أما فنه فإن له لونا فريدا و يعجب القراء والدارسين منذ البداية ، تألق إسم إميل حبيبي في الأوساط الأدبية في العالم العربي ، و ارتبط إسمه بالمجددين في مجال الرواية العربية المعاصرة ، أعماله تعد نموذجا في الخروج عن الأشكال والأساليب التقليدية و لا سيما في عرض مأساة الشعب الفلسطيني وقضيته ، و استطاع إميل حبيبي في الوقائع على الأخص ، ومن خلال

اختياره الشكل الأدبي و الأسلوب و شخصية البطل ، أن يحطم النمط التقليدي للأدب الفلسطيني بحيث قدم عملا يفرض علينا التأمل و يعتبر خطوة جديدة في تاريخ الرواية العربية المعاصرة .

ومن أهم أعمال إميل حبيبي سداسية الأيام الستة ١٩٦٧م ، و الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل ١٩٧٤م وآخرها لكع بن لكع و سرايا بنت الغول ، و قد ترجمت الدكتورة سلمى الجيوسي بالاشتراك مع تريفور لوجا سيك الوقائع إلى الإنجليزية سنة ١٩٨٢م والترجمة مزودة بمقدمة قصيرة تتناول تاريخ الرواية كشكل أدبي في العالم العربي و تقدم كلمة قصيرة عن إميل حبيبي و خلفيته ثم تحليلا للنص نفسه و أهميته بالنسبة للادب العربي المعاصر .

ونظرا لأهمية أدبه يجدر بي أن أقتبس قول عزيز شكري ماضي بهذا الصدد: في قالب فخم يقدم إميل حبيبي عالما حافلا بالاضطراب والفوارق والانفعالات المتنوعة المختلفة بعضها في عرى وثيقة ، و مشاهد الرواية ليست مشاهد بالمعنى المألوف إنما هي ومضات ولقطات ترتص حول نفسها لتشكل لنا في النهاية لوحة فسيفسائية يحاول الكاتب من خلالها تاريخ وجدان الشعب الفلسطيني ، وقد توفرت للكاتب رؤية نافذة مكّنته من حسن الاستقصاء والشمول للمادة التي يقدمها مع الدقة والعمق ، كما أن حبه لموضوعه وفنه مكّنه من استخدام أدوات فنية متعددة لشكل متقن و فذ ، و لعل أول ما يميزه القارئ في هذا العمل هوالسرد البهيج الذي يصل

بالموضوع إلى حدوده النهاية حيث لا مزيد عليها " و يتابع قوله : استطاع الكاتب بعمله أن يمنحنا شعورا بالامتلاء الفني والفكري والوجداني المنبثق من رؤية واقعية تحليلية سليمة في صياغة قصصية ، أثبت مقدرته الفائقة على التزام النهج الروائي باستخدام الأدوات الفنية التي يصل فيها إلى حدود الرمز والمفارقات والأسلوب الساحر واستخدام تيار الوعي ، أن الحدث ينمو ويتطور بإنسيابية تلقائية مطلقة ويتخلل سير الحدث التذكر والاسترجاع والمقابلة ثم التذكر داخل التذكر ، ولكن الكاتب لا يمضي مع السرد إلى حيث تأخذه المأدة فتلفت زمام الأمور من يديه ،بل نراه يمسك بمقوده جيدا ، فيلاحق الأحداث بوعي ساطع و بتبعية فنية بينهما لتشكل لوحة فسيفسائية جميلة نابضة بالحياة بالغة الروعة والإتقان ، والكاتب فوق ذلك يستعير أداة تيار الوعي من الرواية الحديثة ويؤظفها بشكل متقن حيث يصور ما يجول داخل النفس معكوسا على الواقع الخارجي " [14].

[14]. شكري عزيز ماضي ، ص ١٨٣-١٨٤ ، لمراجعة الرواية ، راجع تلخيصها في غنايم محمود : في مبنى النص دارليسار ، جت المثلث 1987 .

الفصل الأول : شخصيته

شخصية إميل حبيبي شخصية فريدة ومعلم من معالم حياتنا الثقافية ، إنه كان مكافحا صلبا، و مناضلا شجاعا ، و قائدا بارزا في صفوف الحركة الفلسطينية و كان مفكرا وعقلانيا ، وثوريا سياسيا ، و صاحب قلم و رؤية واضحة المعالم ، هو واحد من أكبر كتاب العربية ، أصحاب المخيلة الفنية والمأساة الواقعية ، هو علامة مضينة في تاريخ الرواية و القصة العربية المعاصرة ، يصعب الإحاطة بكافة جوانبه ،هو الكاتب والصحافي والروائي والمفكر السياسي وأحد أكابر المثقفين والنهضوين والمبدعين الفلسطينيين والمتميزين والمناضلين السياسيين المثابرين من أرض فلسطين ،كان في حد ذاته مدرسة شاملة تربت فيها أجيال من المناضلين و تستفيد منها أجيال أخرى ، هو نداء حقيقي لهذا العصر ومعالج فذ لأمراض القلق للشعب الفلسطيني ،هذه الشخصية تستحق هذا التقدير والاحترام لأنه يمتاز عن الأدباء الآخرين بكونه عاش و مات في أرض فلسطين وظل في الوطن و بقي في مواجهة يومية ومباشرة مع العدو وبالتالي عرف هذا العدو الخصم معرفة مباشرة وبالإضافة إنه رحل فلسطين و هذه الدنيا ولكن مع رحيله لم يرحل الوجود الإنساني الفلسطيني و أنه أوصى أن يكتب على قبره "باق في حيفا " و معنى ذلك كلماته النضالية المثيرة في قلوب أبناء فلسطين باقية إلى يوم القيامة ولا تزال تبث الأمل في قلوبهم ، و فيها مصدر هام لاستنهاض الهمم الفلسطينية العربية إنه رفض الجمود و التحجر و دعا إلى عالم بلا قفص ، و قد أثارت الكثير من أطروحاته و مواقفه نقاشات حادة وعاصفة ،

و كذلك جدالات نظرية وفكرية مختلفة بين أوساط الرأي الفلسطيني والعربي ، و برزت وتيرة الخلاف معه على مستوى المثقفين والمفكرين العرب وفلسطين عندما تسلم جائزة إسرائيل سنة ١٩٩٢م من رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك اسحاق شامير .

ومن الجدير بالذكر هنا أنه يكاد يكون أول أديب عربي ترك أثره في مختلف مناحي الحياة العربية الخاصة والعامة للجماهير العربية في إسرائيل منذ عام النكبة حتى سنوات التسعين الأولى من القرن العشرين ،إنه أعلن بصراحة أن الحل السياسي الوحيد لقضية الصراع العربي الإسرائيلي هو قيام دولتين مستقلتين واحدة لليهود وأخرى عرب فلسطين يومها .

لسنوات اعتبر هذا الكلام خيانة بالنسبة لليهود وللعرب ، و نشهد اليوم أن هذا هو المطلب العربي والفلسطيني والإسرائيلي والعالمي ، صحيح : أن الرياح تجري بما لا تشتهيه السفن ، و لكن هذه الحقيقة لا يماري فيها عاقل بأن قراءة الواقع واستقراء المستقبل هي من خصيصة البعض .

وكانت أسبوعياته في الاتحاد كل يوم جمعة والموقعة "بجهينة" و "شمقمقياته" اليومية مثار إعجاب و استحسان القراء واحترام و تقديرالأوساط الشعبية والأدبية وشكلت زادا فكريا و معرفيا و تنويريا للأجيال الناشئة والصاعدة في معركتها الثقافية و الحضارية نحو المستقبل الزاهر والغد الموعود .

رحم الله إميل حبيبي ،كان إنسانا فريدا وكاتبا فريدا وفقد إنسان مثله خسارة لا تعوض .

مولده ونشأته

ولد في مدينة حيفا سنة ١٩٢١م [15] و نشأ في أسرة ريفية أصلها من مدينة شفا عمرو القريبة من حيفا، كان والده يعمل مدرسا في شفا عمرو ، وهي مهنة محترمة ، ولاسيما في ذلك الوقت الذي كان التعليم فيه قليلا ، إن لم يكن نادرا ، غير أنه انتقل مع الأسرة إلى مدينة حيفا سنة ١٩٢٠م .

نشأ في أسرة فلسطينية عربية مسيحية بروتستانية[16] ،ولكنه لم يكن من أولئك الذين يستولى عليهم التعصب المذهبي أو الطائفي ، أنه تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة المعارف الابتدائية بحيفا ، ثم واصل تعليمه الثانوي في حيفا ، ثم في مدينة عكا ، حيث أنهى في مدرسة البرج الصف الثاني الثانوي و بعدها انتقل مرة أخرى إلى حيفا ، لإكمال تحصيله العلمي في مدرسة " مارلوقا " و هي مدرسة إرسالية إسكوتلاندية ، ثم درس بالمراسلة مع المعهد البريطاني الهندسة البترولية و أكمل دراسته بالمطالعة و غذى ذهنه ببيئته و ظروفها ثم اتجه إلى دراسة الماركسية ، والتزم نهج حزبه الشيوعي و آمن بمبادئه وطرحها بكل الجرأة في كل محضر و مناسبة ،أنه عمل في مجالات مختلفة ، من بينها العمل في مصفاة البترول في حيفا ، ثم انتقل

[15] . Great World Writers : 532 , Twentieth Century : Edited By Patrick M.O Neil.

[16] . Encyclopedia of the Palestinians by Philip Mattar , Page : 191

للعمل في الإذاعة الفلسطينية في القدس ولكنه استقال من هذا العمل سنة ١٩٤٢م للتفرغ للعمل الحزبي ، وقد شارك سنة ١٩٤٤م في إصدار جريدة " الاتحاد " التي ارتبط بها سياسيا و أدبيا ،كما أسهم في إصدار مجلات وجرائد أخرى ، منها مجلة "

المهماز " الأسبوعية ، و مجلة " الغد" وعلاوة على ذلك فقد ترأس مجلس إدارة دار "عربك " للنشر في حيفا ، و أسس مجلة أدبية إسمها " مشارف" و كانت تصدر في القدس و حيفا ، وتولى رئاسة تحريرها حتى وفاته ،إلى غير ذلك من المجلات والأعمال الأدبية والسياسية .

أقام مدة من الزمن في مدينة رام الله ، غير أن الحنين عاوده للرجوع إلى مدينة حيفا ، و لكن عودته تمت بعد زيارته للأردن و سوريا و لبنان ، حيث أقام فيها عدة أسابيع ، وعندما ألقى عصا الترحال في حيفا ،حيث تقيم عائلته ، فوجئ بأن إخوته قد رحلوا إلى لبنان ، ولم يبق سوى والديه انتقلا للإقامة في قريته الأصلية شفاعمرو ، غير أن والده وافته المنية وبقيت أمه وحيدة ، فانتقل بها للعيش من جديد في مدينة حيفا .

ثقافته وإبداعه الأدبي

تم اتصاله باللغة العربية والثقافة الأدبية وهو طالب في المدرسة ، و كان ذلك على أيدي بعض المعلمين الذين لمسوا فيه الملكة اللغوية واكتشفوا فيه الموهبة الأدبية ، لقد فرض عليه بعض المعلمين المحبين له دروسا في الدين الإسلامي ، و حفظ القرآن الكريم على الرغم من أنه كان مسيحيا فتأثر بهذا

الدين العظيم ، و كتابه المقدس فكرا و أسلوبا وبيانا ، كما نرى أحيانا يقتبس الآيات القرآنية في رواياته ، أنه ما زال يذكر الأستاذ إلياس حداد الذي بدأ على يديه دراسة اللغة العربية نحوا و أدبا .

كما أنه تأثر بجانب من التراث العربي الأصيل وعلى وجه التحديد فن المقامات لبديع الزمان الهمداني، و الحريري، و كان أكثر ما يعجبه بالمقامات براعة أصحابها في التلاعب بالألفاظ ، و هو ماأولع به في أدبه ، كما أنه تأثر أيضا بأعمال فكرية وأدبية عربية أخرى مثل "رسالة الغفران" لـ أبي العلى المعري ،و " ألف ليلة و ليلة "، أما في مجال الفكرالمعاصر، فقد كان متأثرا بالأدب العالمي، وخاصة الأدباء الروس و على رأسهم تولستوي، وتورجنيف، و دوستوفسكي، ومايا كوفسكي، غير أنه اتجه نحو الأدب الساخر، ليعبر من خلاله للجماهير المتعطشة للحرية، والناقمة على الظلم، عما كان يدور في ذهنه من صراع فكري و دفق ثقافي.

وكان إميل حبيبي و رفاقه من عملوا على حفظ الثقافة العربية في البلاد ، و صانوا اللغة العربية السليمة أمام الخطة السلطوية التي هدفت إلى جعل أدب اللغة العربية السائدة والوحيدة التي يعمل بها و يدرس بها و كانت صحف الحزب الشيوعي هي الأمل والنافذة ومن ثم البوابة التي على صفحاتها تبلورت الحركة الثقافية العربية في البلاد و تطورت الحركة الأدبية وترسخ الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، امتاز إميل حبيبي بالنضج

والعمق السياسي والإحساس بالمسؤولية والالتزام الفكري واحترام الكلمة الجادة، والكتابة المسؤلة الناضجة و إخلاصه للغته وفنه .

وسما بأعماله ومنجزاته القصصية والروائية إلى مستوى رفيع من الإبداع والخلق والأصالة وحفل عالمه القصصي بالقيم الفنية الإبداعية والفكرة الجمالية و بالنماذج الإنسانية المقهورة المعذبة و بالجوانب المتعددة لواقع مجتمعه وحياة شعبه الفلسطيني المشرد والرازح تحت نير الاحتلال ،أنه خلف وراءه إرثا أدبيا نثريا رائعا وحظيت مؤلفاته باهتمام النقاد والدارسين والباحثين في الداخل والخارج ، تنبع خصوصية أدب إميل حبيبي من اهتمامه الشديد البالغ بالمظاهر الوطنية والقومية والالتصاق بالهم الوطني والوجع الإنساني والتركيز على الشخصية الوطنية الفلسطينية في ثوابتها و تحولاتها النوعية و هيمنة هاجس المكان على رؤيته .

إضافة إلى ابتداع فن السخرية اللاذعة ، والمزاوجة بين التراث و الحداثة واللجوء إلى الإيقاع الموسيقى داخل النص ، وهو في كل ما كتب دقيق الوصف ، مشرق الديباجة ، قوي الحركة ، و استطاع فهم وسبر واقع القهر والبؤس والعذاب الإنساني الفلسطيني والنفاذ إلى عمق الحياة والوجدان والنفس البشرية ، و أنه نجح في كشف الواقع وتعرية كل ما يدور حوله من الظلم والاضطهاد وبالتبشير بالآتي والقادم بإخلاص و بحلم العدالة للمعذبين والمظلومين والكادحين والمستضعفين في الأرض .

إميل حبيبي شكّل ظاهرة أدبية في الثقافة الفلسطينية الجديدة المناهضة للظلم والقهر والاضطهاد والاستلاب ، والملتزمة بقيم التحرر الوطني والتقدم الإنساني وحقوق الإنسان ، منذ شبابه شغلته تحولات الفكر والسياسة وشارك بفعالية في إرساء و تطوير وتأصيل الخطاب السياسي الفلسطيني و وضع الأسس واللبنات الحقيقية لمشروع سلام حقيقي وعادل يضمن حقوق الشعب الفلسطيني ، وقد تمسك بخيار الكلمة و أثبت حضوره الطاغي الواعي والمتميز العميق ، بإبداعه الشامل المتكامل ورؤيته الشمولية الواضحة وحسه الطبقي الإنساني والتزامه بمبدأ الحرية الذي ننشده جميعا ، وهويمثل وجها آخر ونموذجا للمبدع والمثقف الثوري المسلح بالتراث العربي و مقارباته المنهجية لقضايا الفكر و الإبداع و الساعي إلى امتلاك إرادة بالواقع و احباطاته و مستقبله و إمكانات لنهوضه ، أنه عمل في إطار مشروعه الثقافي الحضاري على تكريس الدور الإبداعي في تأكيد مفهوم الحرية و بناءها ، و حراسة الحلم الفلسطيني وتثبيت جسور التواصل مع العمق العربي والأممى الإنساني ، كان صاحب الحلم العظيم و رؤيته على أساس متين إنه رأى من خلال تجربته وقصصه ورواياته أولا ميلاد الدولة الفلسطينية المستقلة في ذلك الوقت وهي الآن ترتج في الجمعية العامة للأمم المتحدة وثانيا عودة الشعب الفلسطيني من الشتات إلى أرض وطنه ، أنه راهن طيلة حياته على أن يبقى الشعب الفلسطيني حيا و قادرا على مقاومة أعتى أنواع الاستيطان والاستعمار هو ارتباط هذا الشعب العربي العميق بالأصول التقدمية لثقافته التي أعانته على تكوين تراث روحي وأخلاقي ،

فهذا الإرث ساعده على الصعود و على ابتداع أشكال المقاومة وعلى البقاء فوق أرضه ، على الرغم من كل أصناف الاضطهاد والاستعلاء القوي .

كما ذكرنا سابقا كان له شغف كبير في السياسة ، أنه انخرط مبكرا في العمل السياسي و لم يختر الأدب إلا متأخرا ليكون مجالا لنشاطه الفكري و الإبداعي ، و ملاذا ليأسه و وسيلة مؤثرة للدفاع عن هويته الفلسطينية ، تماما كبطل روايته " الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل " ، عايش ولادة الكيان الصهيوني ، تعلم كيف يواجه ويشق لشعبه مكانا فيه ، بعيدا عن كل الشعارات التي اختبأ وراءها كثيرون غيره عبر تضخيم صورة العدو و عبر التمسك بصورته الغيبية، و إذا كان إميل حبيبي قد أخطأ في بعض المواقف فهو قد أخطأ عنه جميعا ليحضر إسم هويته الفلسطينية في ذاكرة شعبه الجماعية ، كما قال عنه محمود درويش إبان تأبينه حيث تساءل و هو يعلم أن الأقانيم الثلاثة ، لفكرة العربية والعدل والسلام ،قد زرعها إميل حبيبي في تربة فلسطين كأنه أتم مهمته وساهم في هذه النقلة الصحبة بين زمنين تاركا الآخرين أن يواصلوا المغامرة في لعب دور البطل ، ليستدرج الشهود في رجمه بتهمة الوطن ، قال محمود درويش : هل انتصار الإطار هو هزيمة المعنى ؟ وهل هزيمة الأداة موت الفكرة ؟ لكن إميل حبيبي بقي في استفزازيته ، ذلك العنصر الحيوي في حياتنا الفكرية ، الذي يكشف الغوغاء ، و يعري اللغة من مفرداتها الميتة ، و يدفعنا إلى البحث عن مخارج فعلية لأزمتنا السياسية و الفكرية و الحضارية ، و هي تلك الاستفزازية نفسها التي نجدها في روايته المتشاءل ، مهما يكن

من أمر ، فإننا لن نختلف أبدا على قيمة أدبه العظيم الذي أضاف إلى الثقافة العربية و جعل صاحبه فارسا للغة و للتعبير الأصل عن الهوية العربية ، و هذه الأخطاء لن تقلل من قيمة الرجل ومن مكانته الإبداعية التي ستظل مضيئة و مؤثرة .

إننا نرى الجرح الفلسطيني العميق النازف هو المرجع الوحيد في كتاباته ، كما كان في كتابات غسان كنفاني ، جبرا ابراهيم جبرا ، في أواسط القرن الماضي حيث كان غسان كنفاني مشروعا أدبيا لم يكمل أصواتا عديدة لم يتح لها الوقت تتمازج وتتحد و تصب في إناء واحد و إن كان قد أعطى أعمالا بارزة مثل رواية " أم سعد " و عدد من الروايات التجريبية التي كان قد يبحث من خلالها عن صوته الأشد حميمية و معانقة للقدر الفلسطيني التراجيدي و كان جبرا مرتبطا روحيا بجذره الفلسطيني في القدس و بيت لحم ، و استمرت وبقي هذا الجذر يشد على الدوام حتى ظهر في روايته الرائعة ، و الأهم " البحث عن وليد مسعود " واستمرت فلسطينية جبرا تتجلي على نحو روحي في أعماله الأخرى تذكرنا بما كتبه أدوارد سعيد عن سيكولوجيه المنفى وانعكاساتها الروحية والنفسية على المنفى[17] .

يمكن أن نقول بصراحة بعد ذكر غسان كنفاني و جبرا ابراهيم جبرا إن إميل حبيبي يختلف عن الإثنين والآخرين لأنه ظل في الوطن وشاهد وطنه بعمق و دقة ، و أتى بتجربته الأخاذة النابضة بالحياة ، إضافة إلى ذلك فهو

[17]. في سفرالكلمات – شموع فلسطينية و دراسات أخرى ، منيرة مصباح ، ص 27 .

متشرب بالروح الفلسطينية كما نجد في الموروث الشعبي والحكايات المتوارثة حيث أخذ منها عنوان روايته الأخيرة (خرافية سرايا بنت الغول) .

لقد أزهر سعيد أبو النحس المتشاءل في الرواية العربية بوصفه شخصية مرة و خاصة معجونة بنكهة أرض لم يبارحها جغرافيا ولا تاريخيا ، و لا حتى بالذاكرة التي تمتلئ بالحنين الجارف واليأس الكسير، لذلك فقد كتب إميل حبيبي لونا خاصا جدا من الشوق الذي لا يعرفه إلا من يكابده ، فهل كتب إذن شوقه المأساوي في حالة من الالتباس من أجل وضوح ما ؟

لقد توهج المتشاءل في الاحتراق بنارين : نار هو ضوضاء أهلية لا تسمع إلا صوتها و نار نازية إسرائيلية ما زالت قائمة لا تتوقف ، لقد حمل إميل حبيبي في عينه حلمه المكسور و رحل ،كما

حمل سطوة اليأس على الحنين إزاء السموات والطائرات التي لا يعتلين إلا من الانتقام من الأرض و الناس .

الوظائف التي شغلها والجوائز التي حصل عليها

إن الفكر العربي التراثي ورياح الأدب العالمي ، قد اختلطت لديه مع التجربة النضالية الشخصية والجماعية للشعب الفلسطيني ، و صنعت منه إميل حبيبي ، الكاتب الصحفي و الروائي القصصي الذي زود المكتبة

العربية ببعض الأعمال الأدبية والروائية المتميزة ، التي لقيت من الجمهور الفلسطيني والعربي كل احترام وتقدير .

(1) في حقل الصحافة عمل مذيعا في إذاعة القدس التي كانت تابعة لسلطات الانتداب البريطاني من ١٩٤٢م إلى ١٩٤٣م .

(2) كان محررا في أسبوعية " مهماز " ١٩٦٦م .

(3) كما ترأس تحرير يومية " الاتحاد " ، يومية الحزب الشيوعي الإسرائيلي باللغة العربية بين ١٩٧٢م- ١٩٨٢م .

(4) و كان يكتب افتتاحيتها تحت إسم المستعار " جهنية " .

و قد منح من خلال الأسبوع الثقافي ، الذي عقد بالقاهرة في شهر يناير سنة ١٩٩٠ م ، أعلى وسام أدبي فلسطيني هو جائزة القدس .

و في عام ١٩٩٢م منحته إسرائيل " جائزة إسرائيل في الأدب " ، و هي أرفع جائزة أدبية تمنحها الدولة[18]، كما اختارته مجلة " المجلة " التي كانت تصدر في لبنان في شهر يناير سنة ١٩٩٢م ، باعتباره أحسن كاتب روائي للعام ١٩٩١م ،كما وقع الأخيار على روايته " خرافية سرايا بنت الغول " بوصفها أحسن رواية للعام ١٩٩١م ، و روايته الشهيرة " المتشاءل " تعد من أفضل مائة رواية عربية ، إنها معجزة روائية .

[18] . Encyclopedia of the Palestinians by Philip Mattar , Page 191

مؤلفاته

1- سداسية الأيام الستة : و هي رواية تاريخية عن حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧م، وقد طبعت عدة مرات في حيفا، و بيروت، و القدس في الأعوام ١٩٧٤م، ١٩٧٧م، ١٩٨١م، كما أنها ترجمت إلى عدة لغات أجنبية مثل اللغة الروسية، الإنجليزية، الفرنسية ، الألمانية والعبرية .

2- لكع بن لكع : ثلاث جلسات أمام صندوق العجب ، و هي حكاية دراماتيكية صدرت في بيروت ،الناصرة سنة ١٩٨٠م .

3- خرافية سرايا بنت الغول : و هي رواية صدرت سنة ١٩٩١م .

4- مسرحية "أم الروبابيكا" سنة ١٩٩٢م .

5- نحو عالم بلا أقفاص : و هي مجموعة رسائل و مقالات فكرية صدرت سنة ١٩٩٣م .

6- بوابة مندلباوم ،١٩٥٤م .

7- النورية – قدر الدنيا ، مسرحية .

8- مرتبة السلطعون .

9- الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل (١٩٧٤)[19]

[19] . Great World Writers : 532 , Twentieth Century : Edited By Patrick M.O Neil.

10- إخطيئة .

أقوال الكتاب والنقاد فيه

قالت الكاتبة و الأدبية المصرية لطيفة الزيات :" إميل حبيبي هو الكاتب الذي استطاع أن يستخدم التراث في القصص ببراعة منقطعة النظير ، كما أنه استطاع أن يغني المكتبة العربية بأعماله الشامخة " .

وقال الروائي الفلسطيني يحي يخلف:"إميل حبيبي كان فلسطينيا مخلصا لشعبه ،فكان وصفيا صادقا، وسيظل إميل حبيبي سنديانة جذعها في السماء وجذورها في الأرض ولذلك طلب بأن يدفن في حيفا، يكتب على قبره "باق في حيفا " .

وقال القصصي الفلسطيني محمود شقير:"عزاؤنا اليوم أن صاحب "المتشاءل" ترك لنا زادا ثقافيا ستنهل منه الأجيال القادمة بشغف و قبول " .

وقالت الناقدة المصرية رضوي عاشور:"المؤكد أن إميل حبيبي قيمة كبيرة في حياتنا

الثقافية ،كان واحدا من أهم الروائين العرب في كتاباته الإبداعية والصحفية، و لعل نصا واحدا كالمتشاءل يعتبر إسهاما كبيرا ومنعطفا في الرواية العربية " .

وقالت الروائية الفلسطينية لبانة بدر: " ما الذي يبقى لنا بعدك غير المتشاءل "[20].

أهمية أدبه على مستوى العالم العربي

إن إميل حبيبي واحد من القلائل الذين خدموا اللغة العربية بأحسن طريق من خلاله إبداعاته الفنية ، أعتقد هو الكاتب العربي الوحيد الذي لم يضح بالفن الروائي و هو يكتب عن مأساة فلسطين ، لقد أثبت بعمق من خلال رواياته أن العالمية لا تتحقق إلا إذا كانت لها جذور عميقة في تربتها المحلية ، تنطوي كتاباته على الكثير من الإعجاز الفني واللغوي ، لقد سطر واقع الإنسان الفلسطيني جاعلا من النبرة الساخرة فنا روائيا ساميا وليس في أعماله حشو و زوائد لغوية ، إذ عبر عن أقصى أبعاد المعنى في أقل ما يمكن من البهرجة و الكلمات و لذلك نجد في إبداعاته الديمومة الأدبية .

إن إميل حبيبي لم يغادر الأدب الرفيع مثلما أنه لم يغادر أبدا حيفا كان ، و لعل نصا واحدا " المتشاءل " يعتبر إسهاما كبيرا و منعطفا في الرواية العربية و هو من النصوص التي ستبقى في تراثنا الأدبي بما تمتع به إميل حبيبي من تجربة نادرة ، يلمسها كل من تعامل معه أو قرأ نصوصه ، " المتشاءل" هو إنجاز فريد و فتح لأفق جديد على مستويات السرد القصصي

[20]. الموقع:www. alhayatliatfal.net

وتجسيد لإنجازات متميزة تجاوزت حدود الرواية الفلسطينية إلى حدود الرواية العربية العالمية ذات الحضور الإنساني المتميز.

إنه استمر في كتابة الرواية و دائما يحاول الوصول إلى القمة التي وصلها إليها " المتشاءل " و يحاول أن يتجاوزها في الوقت نفسه ، المتشاءل احتل مكانة رفيعة في الأدب العربي و تظل إنجازا فريدا في كتاباته، و من أفق الرواية العربية بوجه عام، و من دون شك إننا تعرفنا في إميل حبيبي على شخصية المثقف العربي المقاوم الذي حارب من داخل فلسطين و قاوم كل محاولات طمس الهوية التي مارستها إسرائيل ولاشك أن تأكيده للهوية العربية داخل إسرائيل أمر جدير يستحق بالتقدير والاحترام ، إميل حبيبي أبدع في فن السخرية أسلوبا فريدا ، خاصا به لم يستبق إليه أحد ، و لم يستطع أن يقلده أحد ، فهو أسلوب قائم على المفارقة والمقابلة بين ما هو مأساوي وما هو باعث على السخرية .

وهذه الفضيلة الفريدة التي اكتسبها تعود إلى معرفته العميقة بالتراث العربي الإسلامي و بفنونه المختلفة، وسوف تبقى "المتشاءل " روايته الكبيرة واحدة من عيون الإبداع الروائي العربي، حتى إن هذه الرواية بما تحتويه من عوالم و شخصيات و أجواء فتنت الأدباء الإسرائيليين أنفسهم و جعلتهم يصرون على ترشيحه لنيل جائزة بإسم الدولة الإسرائيلية .

نجد في أسلوبه الروح الإنسانية الغامرة والشجاعة و الجرأة إضافة إلى العناية باللغة ، تملك ناصية البيان العربي ، و كان على الرغم من أنه

نصراني يكثر من الاقتباس والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية و ذلك دأب كل إخواننا النصارى المخلصين الذين يعتبرون الإسلام جزءا من إرثهم الروحي و الحضاري كما نعتبر نحن المسيحية جزءا من تراثنا.

إن اللغة عند إميل حبيبي هي لب العملية الأدبية ، و هي عنصر فعال في تميز أعماله ، لقد وضع حبيبي الأدب على خريطة العالم العربي ومن ثم العالمي عند ما طوّع لغة تراثية وحولها إلى لغة حية ساخرة آنية، و حول النص الأدبي إلى منشور سياسي حزبي بل تراكيب جمالية غير مبسطة تثير في القارئ تساؤلات حول وجوده ، إنه كان شغوفا باللغة العربية منشغلا دائما في النصوص الأدبية والدينية والتاريخية ، يحاول أن يطور اللغة يستحدث مصطلحات و إنشاءات لغوية و أدبية نراها مثلا في "المتشاءل" و "إخطيئة" .

الفصل الثاني : أعماله الأدبية

كما سبق ذكره كان إميل حبيبي إنسانا متعدد الجوانب، متفرع الاهتمامات ،حيث كان كما يعلم الجميع سياسيا لامعا وصحافيا موهوبا، و كاتبا بارعا، و قصيصا فذا، لذلك ستحصر هذه المقاربة نفسها في جانب واحد من هذا التنوع الأدبي وهو الجانب القصصي ، زاعما أن إميل حبيبي بقصصه القصيرة و رواياته شكل ظاهرة متميزة متفردة .

إن تجربة إميل حبيبي القصصية تستدعى منا الحذرالشديد في تناولها ، ذلك لأنها تجربة طويلة ثرية في الخطاب القصصي المحلي والعربي ، فهي تجربة تنفلش على مسافة زمنية واسعة عمرها نصف قرن من الزمان أو يزيد، و تسلّحت بكل ما استجد على ساحة الأدب القصصي محليا و عربيا و عالميا من تطور و تغيير و تجديد، نرى إميل حبيبي في معظم ما كتب منحازا إلى الفقراء مفرقا بينهم و بين الطبقات البرجوازية و شبه الإقطاعية التي تتباين في رأيه موافقها و علاقاتها مع الجماهير التحتية الفقيرة و تصل في تباينها حد التناقض و العداء ، فهذه الطبقات ليس لها وطن ، وطنها هو مصالحها الذاتية ، و من هنا فإنها تضطهد الجماهير و تجعل حياتها طوقا مستمرا بعيدا عن الاحتلال ، أما في ظله فإنها تحاول أن تتكيف مع واقع هذا الاحتلال حتى تحافظ على مواقعها و أرباحها بل إنها تضحي بكل شئ ، حتى بلغتها التي تختلف و تتناقض مع لغة العامة[21] .

[21]. شكري عزيز ماضي : انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ، المؤسسة للدراسات و النشر بيروت ، 1978م ، ص 187.

إنطلاقا من هذا المخزون الفكري كتب إميل حبيبي قصصه و رواياته ،فها هو في السداسية يسعى إلى تقديم صور اللقاء للشعب الفلسطيني المتشتت في المنفى والغريب في ظل الاحتلال ، ومن خلال تلك الصور نرى العودة الموهومة وفتح الحدود بطرق مغايرة ،كما تصور لوحات السداسية أيضا تطور علاقة الجماهير بواقع الاحتلال فلسطيني المنفى ببوتقة الجماهير العربية في الداخل كما تترك اللوحات جميعا في الوصول في النهاية إلى الموقف الثوري في التحليل الأخير و تبين عدم اندماج الفلسطيني بالداخل بواقعهم بالرغم من محاولات التذويب والقمع و في المقابل نرى اندماج فلسطيني المنفى في البحث عن الإنسان أو العنصر الإنساني وسط الزحام أو تحت الركام ، تستخدم لغة دالة على الاقتراب من الجماهير العربية المطاردة[22] .

يجدر بنا أن نتعرف على أعماله الأدبية بشئ من التفصيل في السطور التالية .

(1)سداسية الأيام الستة : هذا تأليف قيم ، تصور هذه الرواية انعكاس هزيمة حزيران وأثرها في الجماهير الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، هذه الرواية تم تأليفها عقب حرب حزيران عام ١٩٦٧م بين العرب وإسرائيل التي استغرقت ستة أيام ، لم تكن حرب يونيو ١٩٦٧م حربا عفوية كما لم تكن ردا على عدوان قائم أو دفاع عن حق ضائع مسلوب ، كما لم تكن

[22]. شكري عزيز ماضي : انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ، المؤسسة للدراسات و النشر بيروت ، 1978م ، ص 173

وسيلة لتسوية قضية حرية الملاحة في خليج العقبة بعد أن عادت القوات المصرية إلى مواقعها القديمة في شرم الشيخ كما يزعم كثير من الدعاة الإسرائيليين ، إنما كانت حصاد حقد قديم و امتداد السياسة توسعة و تحقيقا لبروتوكولات موضوعة وضعها هؤلاء الشيوخ من أجل القضاء على أعداء الصهاينة ، و انتصار العنصر اليهودي على كافة العناصر البشرية ،لأنهم في عرف أنفسهم شعب الله المختار ، ولا بد أن تتم الحية الرقص الرقطاء ـ و هي شعارهم الذي يضعونه نصب أعنيهم ـ دورتها فتهلك الشعوب الأخرى تحتها و تقضي عليها قضاءا مبرما .

لم تكن حرب يونيو إذن حربا دفاعية من جانب اليهود ، إنما كانت حربا عدوانية مدبرة تحالفت فيها قوى الاستعمار من أجل إزهاق الحق العربي .

وتضيق حقوق العرب في فلسطين و تستهدف إلى تحقيق نوايا خبيثة [23] و بالإضافة أن هذه الحرب حاولت أن تقضي على تكتل الشعوب العربية في هذه المنطقة من العالم و أعني بها منطقة الشرق الأوسط ، كما حاولت أن تثير جفوة بين البلاد العربية و تقيم خلافا كثيرا في هذه البلاد ، و غاب عن إسرائيل في عدوانها أن القومية العربية حقيقة واقعية منذ فجر التاريخ لاسبيل إلى تجاهلها و إنكارها ، قد شاهد التاريخ ،خاب مسعى إسرائيل في هذا السبيل ، فإنها لم تستطع أن تحقق قلامة ظفر من أمانيها و أحلامها ، بل

---

[23]. "رجاء النقاش " : مقدمة " سداسية الأيام الستة " ، معتوق ، بيروت .

خرج الشعب العربي بعد نكسة ١٩٦٧م أشد قوة وتماسكا و أكثر وفاقا و تجانسا .

هذا ما تقوله الرواية "سداسية الأيام الستة " و بما قدمته السداسية من طروحات تصبح نموذجا أصيلا لأدب المقاومة أغنى بالجمال الإنساني [24]، يستطيع إميل حبيبي أن يحقق ما يرى إليه

في السداسية ، لابد له من استئصال هذا العذاب الطويل[25] ، قارئ السداسية يجد أنها تتألف من ست لوحات لكل عنوانها الخاص بحيث لا حدث محوريا يوحد فيها أو شخصية مكررة ، إنما الذي يوحدها هو أنها جميعا تحاول أن تصور انعكاس هزيمة حزيران وأثرها على الجماهير الفلسطينية في الداخل والخارج ، كما يوحدها كذلك أنها تحاول أن تعطي نغما واحدا هي نغمة التحدي والمقاومة ، نقوم بالتركيز على هذه الرواية بكل معانيها ، خلاصتها و أبعادها في الباب الثاني ، و بالجملة يمكن القول إن السداسية تحمل لمحات مشرقة لصمود الشعب الفلسطيني و تضحياته .

ويكون التفاؤل رفيقا دائما بأن النصر لابد أن يتحقق مهما كثرت التضحيات و طالت الطرق، و تطالب الرواية للأمة أن لا تيأس بالنصر لابد أن يتحقق بالنهاية و سيتم تحرير الأرض مهما طال الزمان و كثرت التضحيات .

---

[24]. "حصاد الأيام الستة " ، د . جمال الدين الرمادي ، ص ٥ .

[25]. محمد دكروب : مقدمة " سداسية الأيام الستة " ، السنة .

(٢)**الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل :** هذه الرواية تصوير حقيقي لتاريخ القضية الفلسطينية من عام ١٩٤٨م-١٩٧٢م ، هي رواية جديدة ذات لون خاص ، تعد جديدة بموضوعها و أجوائها و لغتها و بنائها و قد عدت بحق- من علامات الطريق - في مسار الرواية العربية و تفرعاتها و أساليبها وتقنياتها ، لا نبالغ إذا قلنا إنها معجزة روائية تعتبر من أفضل مائة رواية عربية .

فالوقائع الغريبة تتكون من مائة و أربعين صفحة من القطع المتوسط و هي مقسمة إلى ثلاثة أقسام يسمى الكاتب كل قسم بـ " كتاب " و كل قسم أو كتاب له عنوان ، فالكتاب الأول عنوانه "يعاد" و الكتاب الثاني عنوانه " باقية " والكتاب الثالث عنوانه " يعاد الثانية " و كل كتاب أو قسم يضم عددا من المشاهد وكل مشهد له رقم وعنوان ، و الكتاب الأول يضم عشرين مشهدا ،والثاني ثلاثة عشر مشهدا ، الثالث عشرة مشاهد .

و يلاحظ أن هذه المشاهد ليست مشاهد بالمعنى المألوف ،لأنها لا تترابط و لا ينمو و لا يدفع الأول منها للثاني بل هي مشاهد مبعثرة (بفن) و موحية ورامزة ، تشكل بمجموعها مناخا روائيا و عالما روائيا مليئا بالفوران و التضاد و التوتر و الحيوية و الاضطراب و بناءا فنيا جديدا كل الجدة .

لقد استعار الكاتب عناصر متعددة مختلفة فتارة يستخدم عنصرا من عناصرفن المقامة ومرة من فن السيرة و حينا من الرواية التاريخية التقليدية ، و مرات من فن الملحمة ، كما يوظف تقنيات عديدة من فن الرواية الحديثة

، فهو يستلهم الموروث القصصي والمعاصر ، و عنوان الرواية طويل و غريب و رامز .

فالرواية تصور عالما حافلا بالاضطراب والانفعالات المتنوعة المختلطة المندمغة ببعضها بعرى وثيقة ، نلاحظ مثلا تداول عواطف الحب والأمل واليأس واللقاء و الأبعاد و السخرية المرة بالجراح البليغة ، هذا الرصيد العاطفي يحتم لوليد المفارقات إن هم الرواية الأساسي يكمن في إبراز صور من نضال الشعب العربي الفلسطيني في وجه الاضطهاد العنصري و القهر الاجتماعي وفضح أساليب المحتل .

ذلك النضال الذي يلتحم بقلب التاريخ حيث الغزو الصليبي و حصارعكا و غزو المغول إلى أن تصل الانتداب البريطاني مرورا بالنكبة الكبرى عام ١٩٤٨م وقيام إسرائيل وبالعدوان الثلاثي وهزيمة الأيام الستة ١٩٦٧م .

هذا الامتداد الزماني والمكاني يأتي من خلال صور غير مرتبة ولا متتابعة ، إذ يأتي ذكرها على شكل ومضات مبعثرة المتصلة و لقطات متناثرة بفن و أهم من هذا و ذلك أن هذه الصور النضالية و المأسي المتصلة لا تجسد من خلال شخصية عادية بل من خلال شخصية سعيد السلبية والجبانة و المتخاذلة ، عندما سئل إميل حبيبي حول اختيار لهذه الشخصية أجاب : كان هدفي باختصار هو تخليص المظلومين من مصيبة توهم القوة في ظالمه ، و لذلك اخترت شخصية سلبية لتكون بطل الرواية شخصية جمعت فيها كل العيوب التي أريد محاربتها .

ولكن بطبيعة الحال كان من الضروري أن أضفي الصفات الإنسانية على هذه الشخصية حتى يصبح واضحا أنها ليست فريدة[26] .

ولعل هذا الأمر يقودنا إلى الأمر الذي يفضي الرونق على أدب إميل حبيبي و يجعله متميزة و هو قضية السخرية ، فسواء في السداسية أو في المتشاءل .

يخلع الكاتب روحه المتفاكهة على شخصياته و يلقيها بالسخرية المرة ، وقد تميز فعلا حبيبي لهذا الأسلوب الشبيه بالجاحظ و روحه في كتاباته ، يقول فاروق وادي عن ذلك " هذه الرواية شأن ما قبلها أيضا كرست إميل حبيبي فارسا لأسلوب جديد في الأدب الفلسطيني والأسلوب الساخر .

و تنبع سخرية هذاالمبدع من داخل الحزن و تمتزج فيه ، فالضحكة التي يتكئ عليها هذا الأسلوب تبسّط خلفها بقعة سوداء ومأساوية للواقع المعيش ، إنها نوع من الكوميديا السوداء ، ذات القدرة السرية على تلوين الانفعالات و جمع نقائضها معا ، هذه الكوميديا التي يشع من أطرافها لحن حزين ،لم تكن مألوفة من قبل في الأدب الفلسطيني، رغم أنها أثبت حضورها في عطاءات كثيرة في آداب الشعوب المقهورة و تتجلى سخرية الوقائع في كلية العناصر الأساسية المكونة للعمل الأدبي فتصبغه بروحها بحيث نقف أمام نموذج أدبي ساخر في شكله جاد في مضمونه دون أن نلمس أي تناقض أو الانفصال بين جدية المضمون و هزلية الشكل الذي حل فيه ، فالشخصية

[26]. مجلة " الشرق" ، ص 27 ، عدد خاص بإميل حبيبي .

المحورية هازلة في تركيبها و تكوينها و الأحداث التفصيلية التي تعيشها هذه الشخصية في حياتها و اللغة التي تصاغ بها ملاح تلك الشخصية و دور أفعالها تستجيب لمنحى الشخصية و الأحداث في توجهها الهازل ، فتشكل الحقيقة الجارحة في مجموعها عملا أدبيا ساخرا يقودنا في معناه إلى الواقع المأساوي الذي يتحدث عنه و يتبع من داخله[27] .

(٣)**إخطيئة :** هذه الرواية تعد من أهم الأعمال الأدبية لإميل حبيبي ، هي تصوير جامع لكفاح الشعب الفلسطيني في أسلوب فريد ، و تمثيل حقيقي للصمود والمقاومة ، هي نموذج الرواية التي تبدأ من حدث صغير ثم تتشعب في جميع الاتجاهات ، إخطيئة هي إسم الفتاة الكسيحة أحبها كل ولد فلسطيني ولم يجرؤأحد على إظهار الحب ،هذه الرواية مظهرصراع الهوية بين فلسطين و إسرائيل ، فيها حماسة كبرى لاقتلاع سياسة التهويد كل مكان ، تتجلى فيها مأساة بسبب فقد الهوية والحب المفقود.

في بداية الرواية يروي الراوي لغز الأمير الفاضل الذي لم يهتد إلى حله سوى ابن الوزير الأصغر، قال كان ثلاثة شبان أذكياء ، أبناء الوزير فشاء الأمير الفاضل أن يعهد بالوزارة ، بعد والدهم إلى أفضلهم فاختبر فطنتهم بأن اجتزاء أربع دوائر صغيرة من ورق ملون ، ثلاث منها حمراء والرابعة خضراء و ألصق على جبين الواحد منهم و هو معصوب العينين ، مستديرة واحدة و أخفى واحدة فإما أن تكون حمراء و إما أن تكون خضراء ، و قال:

---

[27]. فاروق وادي ، ثلاث علامات بارزة ، الأسواق عكا ، 1985م ، ص 124.

إن من يسبق أخويه في اهتداء إلى لون الورقة الملتصقة على جبينه يكون أشدهم فطنة ، فأعهد بالوزارة له ، اعتراهم الوجوم برهة وظلوا صامتين متحيرين في أمرهم فيما كانت الدقائق تمر سراعا حتى إذا مضت ساعة من الزمن وهم حيارى، فطن أصغرهم إلى سبب هذه الحيرة فصاح فوق جبيني ورقة حمراء[28]، لأن شعر أحدهم بأن ما رأى ثلاثة أولاد لون أحمر ،كل منهم لون أخضر ، مشتملا عليه نفسه ، في ختام هذه الرواية، نرى الراوي يفصح القول إن مرور الوقت على هذا الأمر من غير أن يهتدي إلى واحد منها على جواب ، هو الذي أهداني إلى هذا الجواب الأمر الطبيعي حتى غايته ، هذا اللغز يثير قضية الهوية للشعب الفلسطيني في إسرائيل وفيها درس لحفاظ الهوية الفلسطينية أمام العدوان المبين الغاشم .

(٤) **لكع بن لكع :** هذا تأليف قيم مهم ، عبر إميل حبيبي من خلاله عن المشاهد والمواقف والأحداث الحاسة في تطورالقضية الفلسطينية ومسيرتها خاصة سنوات الثمانينات بما شهدته من مؤامرات و مخططات استعمارية بمسخ الهوية الفلسطينية مثلا اتفاقية كامب ديفيد ، و حرب لبنان و طرد منظمة التحرير من لبنان ، و اغتيال عدد كبير من القادة الفلسطينيين إضافة إلى الجرائم الإسرائيلية والاستكانة العربية في إطار جديد ، إننا نجد في هذا النص معالجة شبه مسرحية للحكاية التي يسميها الكاتب " حكاية مسرحية " يتم فيها الجلوس ثلاث جلسات أمام صندوق العجب و ليس في هذا النص بالطبع أي حكاية بالمعنى التقليدي – سوى ما ترويه " بدور " و هي

[28]. رواية إخطيئة لإميل حبيبي ص 1 .

شخصيه مركزية في هذا النص ، تدور هذه المسرحية من خلال الحوار والنقاش والتعليمات الجانبية التي تدلي بها الشخصيات .

(5) خرافية سرايا بنت الغول : هي حكاية المأساة الفلسطينية منذ التخطيط لاستلاب فلسطين إلى حرب الخليج ، حيث بدت له هذه الخرافية (الرواية) جزءا من التناص مع خرافية " سرايا " في الحكاية الشعبية الفلسطينية ، سرايا هي فتاة اختطفها الغول ، فبحث عنها ابن عمها ، و خلصها من قصرالغول بعد أن قتله ، تمثل" سرايا " في الرواية الفلسطينية التي اغتصبها الغول الصهيوني ، فنسيها ابن عمها زمنا ، ثم جعل يبحث عنها ، بعد أن استصرخته تطلب منه أن ينجدها ، و هي التي تتماثل في شخصية فتاة تعاني من الضياع و الاغتراب والموت ، هذه هي مأساة الفلسطيني ، إنها معاناة البحث عن الماضي الفلسطيني في جحيم الحاضر الصهيوني ، بحثا عن مستقبل يتشكل مع ملامح الماضي و ذكرياته .

(6) نحو عالم بلا أقفاص : هذا كتاب جديد جديربالقراءة حول التغيرات العاصفة داخل الحركة الشيوعية ،و هو يأتي بمثال جديد عن مجموعة من الطيور ، أدمنت الوجود داخل قفص، و بسبب ما تنكسر أقفال قفص ، تخرج الطيور ،قسم منها الجرئ ، يحلق و يعود جناحيه على الطيران من جديد ، القسم الآخريخاف و يرجع إلى القفص ، و لكن هذا القفص لم يكن موجودا، و هذا مأساة كبرى ،فهو يسلك سلوك أسير القفص ، لكن بدون قفص ،

الحقيقة أننا كلنا نعيش في عالم بالأقفاص التي نصنعها بأيدينا في رفضنا التغيير .

الفصل الثالث

إميل حبيبي و النضال الفلسطيني

عندما نتكلم عن إميل حبيبي تتجلى لنا صفحات مشرقة لنضاله الكبير الحقيقي للشعب الفلسطيني حتى أصبح التاريخ لا يعرف إميل حبيبي إلا مع نضاله الكبير ، أنه بذل كل غال و رخيص في سبيل استعادة الحق الفلسطيني من جديد ، حياته مملوءة بهذه المقاومة والحرية والعدالة ، فلن يكن مجرد مناضل عريق مر في التاريخ ، فقد حظي بالكثير من الإعجاب والكثير من الانتقاد .

وظل شخصية مثيرة الأمل الوطيد في قلوب الشعب الفلسطيني، أنه كان مناضلا شرسا من أجل تحسين ظروف و شروط الحياة والحرية والعدالة الاجتماعية، و هذا جانب مهم في شخصية الناضل، و كل الفضل يرجع إلى ذلك الحزب الذي تربى فيه و خلاله أصبح علما ذاكرة شعب .

وذلك الحزب الذي أنجب توما، محمود درويش، توفيق طوبى، توفيق زيا ، وغيرهم الكثير[29]، هؤلاء هم الشيوعيون الفلسطينيون الذين قسمتهم حرب العام ١٩٤٨م ثم قسمتهم مرة أخرى ب ١٩٦٧م و لكن ظلوا أوفياء لشعبهم ومبادئهم وقد اضطهدتهم إسرائيل والأنظمة العربية و بقوا شامخين يذكر شعبهم نضالهم و يتمثل به .

[29] .Continuity and Change : A Study of Two Ethic Communities in Israel by Rita James Simon : 53

خير دليل على نضاله ، ارتبط إسمه بمدينة حيفا وارتبطت به ، أنه ظل وفيا لأرض فلسطين ، عاش ومات فيها ، وساهم في أدوار قيادية في حياة الفلسطيني و مواجهتهم اليومية لسياسات التهويد والقمع التي انتهجتها الحكومات الإسرائيلية ، هو أحد أبرز الأسماء الفلسطينية من الذين و أكبوا الحياة السياسية والثقافية قبل النكبة ، كان أحد أبرز الذين ساهموا من خلال حضورهم و نشاطهم اليومي في الحفاظ على هوية تلك الأقلية من أبناء الشعب الفلسطيني الذين ظلوا صامتين على أرضهم في تلك السنوات الأولى من خمسينات القرن الفائت ، وجد إميل حبيبي نفسه في الصفوف الأولى للدفاع عن حق الفلسطيني في البقاء على أرضهم أولا ثم بعده ذلك في تأكيد هويتهم القومية الوطنية بكل ما يرتبط بتلك الهوية من حقهم في الدفاع عن أملاكهم ، خصوصا في الأرض التي كانت ولا تزال تواجه مخططات المصادرة والتهويد ، و تهويدهم إلى عمال زراعين فيها، إنها بدايات شائكة مريرة وبالغة القسوى وصفت المثقف الكاتب والسياسي التقدمي في حمأة مواجهات قومية لاتهدأ، و جعلته في صورة دائمة عرضة للملاحقات و الاعتقال و مختلف أشكال التميز والاضطهاد، كما يبدو من سيرته، إنه لعب دورا مميزا في تعزيز هويتنا الثقافية والدفاع عن حقوق شعبنا القومية الوطنية و الطبقية واليومية .

هو من أهم الرموز النضالية والثقافية الأدبية والإعلامية ، كان متعدد الاهتمامات والمواهب و مزيجا من السياسي والتجربي و الفكري و الأدبي

والإنساني والنضالي و من الجدير بالذكر لم تكن الحياة بالنسبة له أكثر من رحلة عقد العزم خلالها على النضال من أجل قضية عادلة و مقدسة .

وهي قضية وطن وشعب وبقي على هذا الحال إلى أن قضى نحبه في الثاني من شهر أيار سنة١٩٩٦م ، في مستشفى العائلة المقدسة بالناصرة و على شفتيه ابتسامة الرضي عن كل ما قدم لأمته وشعبه ، و إن كان القلب حزينا على الوضع الذي آلت إليه أمتنا العربية ولكنه إنه كان على يقين من أن ليل هذا الوطن له آخر ، وأن فجره سوف يشرق في يوم من الأيام ، حاملا مع الأمل والعدل والحرية ،و لهذا فقد أوصى بأن يدفن جثمانه في مقبرة الطائفة البروتستانية على شاطئ حيفا ، كما أوصى بأن تكتب على قبره هذه العبارة " باق في حيفا " ، وظل يشكل منارة تثير الدرب أمام الأجيال العربية و أمام الإنسانية جمعاء .

وإنه كان متفائلا جدا بإمكانية تحقيق السلام و مناضلا فلسطينيا حقيقيا له نضال كبير من أجل عروبة فلسطين و أديبا كبيرا ومحبا عظيما للسلام والأدب و الحرية ، كما تنطق رواياته وقصصه بالقوة على هذا المنوال .

لدينا أدلة كثيرة تفصح القول من خلال أدبه على مقاومته و نضاله و صموده أمام العدو و تحريضه على التمسك بالهوية و العروبة[30]، إذا نمعن النظر في رواية سداسية الأيام الستة هي تمثل التراث العربي و تؤكده ، فإنها لا تخلو من وقفات دالة ، تشبه التأمل المؤاسي مع الذات ، يشير التشابه

[30]. Culture and Customs of the Palestinians by Smith K . Farsonth : 100

و التنافر فيها إلى الموقف العربي السلبي في كثير من الاستياء المبطن بالسخرية التي تحفل بها هذه الرواية .

إننا نقرأ في النص الثاني (أخيرا نوراللوز) و حوارا قصيرا ينم عن انحسار هذا المد العربي داخل الأرض المحتلة ، و خاصة عقب هزيمة يونيو ، إذا أن هذه الهزيمة عمقت من الإحساس بالقلق الذي أحسه الفلسطيني في ظروفه الصعبة ، إننا نقرأ هذ الحوار القصير و العروبة ؟

هلا أقلعت عن العتاب التهكم ؟ [31].

وفي موضع آخر حين يكتشف الطفل أن له أقارب خارج الأرض المحتلة ، في الأردن أعماما وأبناء أعمام ،الموضع يعلق على المصريين بتداعي الذاكرة مما ينال من الإحساس بالهوية الواحدة ، و نحن في أول نص نقرأ المفتتح الذي يحمل لونا خاصا لهؤلاء العرب لماذا نحن يا أنت ؟

لماذا نحن أغراب ؟

أليس لنا بهذا الكون أصحاب وأحباب ؟

وهو مقطع، كما نرى، من أغنية فيروزية ، هذه الأسئلة تثير في الشعب الفلسطيني حماسة العروبة فيها تحريض على المقاومة والتمسك بالعروبة .

---

[31]. إميل حبيبي ، " الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي الحسن المتشاءل " ، " سداسية الأيام الستة " ، دارشهدي ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص ١٣ .

مع هذا كله ، فإنها تعكس– بالفعل– الوجه الآخر لأثر هزيمة في وجدان الإنسان العربي داخل الأرض المحتلة، ونقصد به وجه المقاومة .

وهذا الوجه–المقاومة الفلسطينية يظل الوجه العربي الذي يبعث روح الإصرار سواء في فلسطين ١٩٤٨ م أو١٩٦٧م، فنحن أمام العديد من الشخصيات المتباينة (أسعد سعود/نورالور/أم الروبيكا) الخ ، وهي تحمل وعيا عربيا جميعا بالاهتمام بفلسطين أو بالأخرى ،البقاء في أرض فلسطين بعد توالي الاحتلال على أراضيها[32] .

إن هذا يتمثل بشكل أكثر حيوية في رواية إميل حبيبي (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل ١٩٧٢م) وهي رواية تروي قصة ما حدث مع سعيد الذي اختار طريق التعاون مع السلطات الإسرائيلية المحتلة ، بالاتفاق مع يعقوب مسؤل الدائرة العربية بالقوى الاحتلالية ، و هو ما دفع به ليس فقط إلى الحبس والإهانة ، وإنما إلى رؤية مصير إبنه ، الذي اختار النقيض (المقاومة الفلسطينية) وهوالمصير الذي عامل به الصهاينة الابن بقوة بالغة ، و رواية المتشاءل لا تهتم بالجغرافيا فقط وإنما أيضا بالتاريخ حتى أن القارئ ليشعر أن هذا العمل الفني إنما هو استعادة فنية و فكرية في تاريخ القضية الفلسطينية من أيام الاحتلال الصليبي و حتى الاستيطان الصهيوني مرورا بالاحتلال الصهيوني في الحكم الروائي من خلال

---

[32]. الاتجاه القوي في الرواية ، د . مصطفى عبد الغني ، ص ١٩٧ .

إشارات و إيحاءات تعمقها أشعار المتنبي و أبو فراس وأمثولات الجاحظ و أبي العتاهية و حكايات ألف ليلة و ليلة ، فضلا عن الرموز الشعبية والصوفية .

وعلى ذلك ، فإن الوجه الآخر للمتشاءم يظل هو الوجه الذي أراد الراوي تعميقه من التأكيد على التشاءم والإسراف فيه ، و التحديد في التفاؤل والوصول إليه ، فهذا الموقف المتشاءم عقب هزيمة ١٩٦٧م كان لابد أن يتمخض عن موقف آخر ، هو موقف الإيجابي[33] (٢) و لم لا ؟ موقف الإيجابي هو تحرير الأرض وتأسيس العدالة و الحرية ، الثقة و الذات الجماعي كلها يتسم برؤية إميل

حبيبي هو يقول من خلال هوية الفلسطين ، لابد لكل الفلسطيني إزالة الخوف والجهل و الصمت ، و هو يتم عن العمل القوي و لا بالتداخل الفضائي ، كما يرد الشخص الفضائي عندما سعيد يلتجأ إليه ، دائما هو يحاول أن يغرس في أذهان الشعب الفلسطيني العزم الوطيد على العمل و نتائجه الحسنة و الرفض التام للركود العربي عامة والفلسطيني خاصة .

من خلال اللغة و محتوياتها وشخصياتها يعالج إميل حبيبي قضية الهوية في حدود المسؤلية الأخلاقية و ينادي الأمة أن تواجه الحاضر متخذة الدروس من الماضي و تصلح المستقبل ،و لا ينسى أحد ماضيه و هويته و إلا هو مسؤول لضحيته .

---

[33]. الاتجاه القوي في الرواية ، د . مصطفى عبد الغني ، ص ١٩٨ .

ومحتوى الكلام هو بإيراد هذه الأدلة من خلال رواياته همه الكبير تخليص المظلوم من مصيبة والنضال الحقيقي في سبيل الحفاظ للهوية والحرية و العدالة .

حقيقة الدعاوى و تقييمها في منظور نقدي

من الثابت تاريخيا وأدبيا بأن إسم إميل حبيبي ونضاله في حق الشعب الفلسطيني سوف ببقى في سجل النضال الفلسطيني ولكن هو لم يأمن من السهام النقدية ، دارت حوله انتقادات حارة ، أتهم بالولاء اليهودي من قبل بعض الكتاب .

هناك باحث فلسطيني إسمه خضر نال شهادة الدكتوراة من معهد البحوث والدراسات الحربية المنبثق من جامعة الدول العربية عن رسالة قدمها للمعهد الذكور أعلاه ، يقول فيها إن الكاتب الفلسطيني إميل حبيبي صاحب الرواية الشهيرة " سعيد أبي النحس المتشاءل " وأحد مؤسسي "راكاح " أي الحزب الشيوعي الإسرائيلي تنطبق عليه صفة الكاتب المتهود ، أكثر مما تنطبق عليه أية صفة أخرى .

يستند خضر في إتهامه لأميل حبيبي بعماله لإسرائيل أو اليهود ، إلى أدلة كثيرة يستقيها من سيرته و كما يستقيها من أدبه و بخاصة روايته " المتشاءل " و بطلها فلسطيني متعاون مع العدو , خضر يدعم قوله بقول إميل حبيبي أنه هو نفسه المتشاءل أي بطل الرواية و إذا كان ذلك لا يكفي لإثبات تهود حبيبي ، فإن لدى خضر أدلة كثيرة في زعمه .

أن إميل حبيبي انضم إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني , و وقع على وثيقة تلعن الصهيونية ، و تعلن عروبة الحزب ، سرعان ما تغير موقفه بعد قيام

دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م ، فقد بدأ يدعو في الجريدة " الاتحاد" إلى القبول بالتقسيم بعد أن عاد إلى إسرائيل التي كانت تمنع أي فلسطيني غادر فلسطين إلى الخارج سمحت لإميل حبيبي بالعودة بعد ثلاثة أشهر و ليصبح على الفور عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي الموحد المعترف به رسميا و الممثل في مجلس الدولة المؤقت في زمن الحرب !

أكثر من ذلك ، ففي تلك الفترة الملتبسة من شهور الحرب ، ما بين عودة إميل حبيبي إلى فلسطين و إعلان وحدة الحزب الشيوعي الإسرائيلي سافر الأمين العام لهذا الحزب شموئيل ميكونس سرا إلى تشيكو سلوفاكيا وعدد من دول أوروبا الشرقية لعقد صفقة أسلحة وطائرات لصالح قوات الهاغاناه و كان إميل حبيبي عضوا في هذا الوفد .

الباحث الفلسطيني خضر يقول إن إميل حبيبي قرر من ذلك الوقت المبكر أن يكرس باقي عمره للولاء لإسرائيل مكتفيا بالمطالبة بحقوق مدنية للسكان العرب في الدولة اليهودية [34].

هذا، عندما نقوم بتقييم هذه الدعاوى يتجلى لنا بأن هذا الحديث لا يستقيم عن الكاتب المناضل الحقيقي من غير ملامسة الظروف التي عاش فيها والتي بدت الكثير من المثقفين العرب في بعض المراحل إشكالية و غير مفهومة ، هذه مسألة جعلتهم ينظرون بنوع من اللوم ، فحبيبي الذي ظل في فلسطين

[34]. بانوراما الصحافة ١٥ ، الثلاثاء ٢٠/٣/٢٠٠٧

بعد نكبة عام ١٩٤٨م ، و واجه العدو مباشرة وظل في الوطن حتى وفاته فكيف يمكن لكاتب مناضل فلسطيني أن يتهود ويتحول إلى يهودي .

أما قول المخالف بأن قول إميل حبيبي هونفسه المتشاءل أي بطل الرواية صحيح في معنى الإيجابي و ليس في معنى السلبي ، لأن إميل حبيبي اختار شخصية المتشاءل السلبية التي جمعت كل العيوب التي يريد محاربتها ، يحاول حبيبي إبراز هذه العيوب رغبة في الإصلاح و المحاربة ، و الأمل الجديد نحو المستقبل الزاهر ، كما يقول حبيبي اختياري لهذه الشخصية كان هدفي باختصار هو تخليص المظلوم من مصيبة توهم القوة في ظالمه ، ولذلك اخترت شخصية سلبية ليكون بطل الرواية شخصية جمعت فيها كل العيوب التي أريد محاربتها .

والشك الثاني الذي دار حول شخصية إميل حبيبي هو تسلم جائزة إسرائيل على الرواية "المتشاءل" ، نقول من كونه باحثا ، هذه الرواية واحدة من عيون الإبداع الروائي بما تحتويه من عوالم وشخصيات و أجواء فتنت الأدباء الإسرائيلين لتسلم هذه الجائزة لا غير .

و كتاباته تحمل في طياتها واقع القهر و البؤس والعذاب الإنساني الفلسطيني والتبشير بالآتي والقادم بإخلاص وبحلم العدالة للمعذبين والمظلومين و الكادحين و المستضعفين في الأرض .

قد نختلف في بعض آرائه السياسية الأخيرة أو في بعض تصوراته و لكن هذه الاختلافات لا تقلل إطلاقا من قيمة الرجل و من مكانته الإبداعية التي

ستظل مضينة مؤثرة ، فإننا لن نختلف أبدا على قيمة الرجل و نضاله الكبير و أدبه العظيم الذي أضاف إلى الثقافة العربية و جعل صاحبه فارسا للغة و للتعبير الأصيل عن الهوية العربية هو يعد حقا منارة عظيمة لنضال الشعب الفلسطيني كما وصيته " باق في حيفا" تدل على ذلك[35] .

[35]. مجلة " الشرق " ، ص 27 ، عدد خاص بإميل حبيبي .

Encyclopedia of the Palestinians by Philip Mattar : 191.

الباب الثاني

دراسة القضية الفلسطينية في ضوء روايات " إميل حبيبي"

لقد كتبت آلاف الكتب والدراسات حول القضية الفلسطينية من مختلف زواياها، ولكن هذا الباب يتميز من الدراسات الأخرى لأنه يتناول القضية الفلسطينية في عدد من الروايات لإميل حبيبي في موضوعها وشكلها وفنها. لقد توخيت دراسة القضية الفلسطينية في ضوء الروايات موضوع هذا الباب، لتعود الروايات إلى أكثر من زمن من أزمنة هذه القضية الفلسطينية باعتبارها قضية تاريخية بدأ من اللجوء والتشرد مرورا بصعيد الفدائي مشتملا على روح المقاومة و الصمود في وجه الاحتلال، وتحاور وعي القارئ وتترك أثرها فيه.

منذ عام 1948م عام الاحتلال الإسرائيلي الأول لفلسطين، بدأ الكاتب الفلسطيني إميل حبيبي بنشر روايته " الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" على حلقات في صحيفة الاتحاد الصادرة في الأراضي المحتلة وذلك قبل أن يصدرها في كتاب عام 1974، هذا الكاتب المبدع حكى في هذه الرواية حكاية القضية الفلسطينية حكى ما حكاه بعد الاحتلال الأول وعلى لسان سعيد الذي يعيش في ظل الاحتلال ويعاني وطأته، في هذه الرواية عن الفلسطيني وقضية فلسطين نقع على معنى واحد للصراع ليس هو المعني الذي قد يتبادر إلى ذهننا ، أو الذي قد نفترضه والذي يفيد بإن ثمة حربا يتقاتل فيها طرفان بل هو معنى آخر للمرجعية التاريخية أي

لما جرى على أرض الواقع، معني يفيد عن الاعتداء، عن فاعل ومفعول به، عن طرف يقتل وآخر يقع عليه فعل القتل، والحكاية حكاية الصراع هي حكاية مواطن فلسطيني أخرج من أرضه بقوة السلاح، أما من نجا ويبقى فهو محكوم بالذل والمهانة وإلا هدد بالقتل.

تكشف القضية الفلسطينية في هذه الرواية عن ضرورة القتال بما هو مقاومة ضد الاحتلال، والشخصيات التي عانت عذابات هذا الاحتلال تفصح هذه الضرورة وتطلقها في نهاية السرد باتجاه المستقبل لا تبدأ هذه الرواية بهذا الوعي بل تصل إليه ما يعني أن المنظور التأليفي كان يتشكل وفق دينامية سردية تفضي إلى الوعي بضرورة هذه المقاومة وتنقل مفهوم الصراع من معناه القاموسي إلى معنى يعادل بين هذه الضرورة وبين هذه القضية الفلسطينية باعتبارها قضية مقاومة.

يعود تاريخ رواية إميل حبيبي إلى نهاية العقد السادس من القرن العشرين أي إلى زمن الاحتلال والهزيمة الذي أدي إلى نشوء المقاومة الفلسطينية على أساس الوعي بضرورتها.

نقدم في هذا الباب دراسة القضية الفلسطينية في ضوء ثلاثة روايات.

الفصل الأول

دراسة القضية الفلسطينية في ضوء "المتشائل" (خلاصة وأبعاد)

إننا قرأنا عدة روايات عربية ، لا تجبر إلى إعادة القراءة مرة بعد مرة، غير أن هذه الرواية التي نحن بصدد عنها تجذب الانتباه كثيرا و تحث على إعادة القراءة باعتبار أنها نوع أدبي جديد في الشكل والمضمون وتعد هذه الرواية علامة مميزة في مسار الرواية الفلسطينية والعربية وتعتبر أفضل مائة رواية عربية، إنها معجزة روائية عربية، وتنطوي على أمرين الأول: إنها تضيف جديدا على صعيد الشكل والبناء[36]، فالكاتب يستخدم آليات جديدة يوظفها بطريقة تتناسب مع ثقافة الآخر لمخاطبته. والثاني : أنها تعالج بهذه الأدوات قضيتنا المعاصرة التي تتعلق بوجود الفلسطيني على أرض فلسطين وقدرة هذا الوجود في التعامل مع الواقع الجديد.

كثيرون هم الذين قدموا إلى هذه الحياة ، ولكن القليل منهم من ترك بصمة فيها. الكثير من الأدباء والشعراء قطعوا رحلة مضنية في دنيا الإبداع بما يملكون من قدرة أدبية ساعدتهم على تحقيق ما يعجز غيرهم عن تحقيقه، لقد أثبتوا وجودهم على الساحة الثقافية، قدموا فنونا أدبية متطورة، وكان لهم دورهم في إعطاء الكتابة روحا جديدة تجلت فيما تركوه من أعمال تسمو إلى مرتبة الفن الرفيع وكل ما نجد هذه في هذه الرواية المتشائل.

[36] . The quest for a lost identity: Palestine Fiction in Israel Page: 106.

وقد صيغت كلمة المتشائل من كلمتي المتفاؤل والمتشائم ليبين التناقض الواضح في نوايا المقاومة العربية في التحرر والعدوان الإسرائيلي في الاستبداد والتسلط.

المتشائل رواية كتبها إميل حبيبي في حيفا عام 1974 باللغة العربية وقد ترجمها سلمى خضراء الجيوسي وتريفول الغاسيك من اللغة الإنجليزية ونشرت في نيو يورك في عام 1982م ، وقد طبعت ثلاث مرات خلال السنوات الأولى من إصدارها وحظيت بإقبال شديد من القراء لما نالته من شهرة واسعة وبمراجعات وتقريظ كثير من المجلات في الوطن العربي وفي إسرائيل ولم يكن هذا الترحيب والاهتمام الزائد بكون القصة رواية مباشرة تتحدث عن حياة العرب في إسرائيل وإنما لاعتبارها أهم عمل قصصي يتناول قضية فلسطين وحياة أهلها المعقدة والصعبة وإنما لأن الرواية تمتاز بقدركبير من الأصالة والجدة على المستوى الفني، وتمثل تحديا بالطراز الفن القصصي في الوطن العربي، وذلك بسسب سبكها في قالب تهكمي واضح من القضية التهكمية الساخرة في الأدب العربي.

المتشائل حكاية تغطي فترة عشرين سنة، وحربين تاريخين هما حرب عام 1948م وحرب عام 1967م في حياة العرب الفلسطينين الذين ظلوا تحت حكم إسرائيل بعد الهجرة الجماعية التي تلت هاتين الحرمين، وهو يلجأ إلى هذا الفن القصصي فيضعنا أمام حوادث التاريخ المعاصر ويقدم لنا بدقة بعض التفصيلات عن وضع العرب الصعب وما يواجهونه من الذل في ظل الاحتلال الصهيوني ، وعن نضال العرب بمجابهة هذا الاحتلال ليس

بواسطة رواية تاريخية وثائيقية جافة، وإنما عن طريق فن روائي راق[37]، وبالإضافة نرى إميل حبيبي أنه أتاح فضاء السرد لأكبر قدر ممكن من التعليقات الجانبية والحكايات الصغيرة والتفصيلات الثانوية والتأملات والمناجاة الداخلية ، من خلال هذه، وجدت الرواية مكانا كبيرا قريبة من التيار الروائي الذي يسمى الآن بالميتا رواية أو الرواية التي نتأمل ذاتها.

لقد أحرزت هذه الرواية نوعا جديدا من النضج والمرونة بشكل جديد في فن القصة فإميل حبيبي لا ينبع مجموعة من التقاليد التي يسير عليها كتاب الرواية وإنما يتناول المنظور الشامل للتجربة العربية الفلسطينية.

من خلال دراسة هذه الرواية إننا نجد بأن رواية هذه، ليست منحصرة في رسالة المقاومة فحسب بل هي تأريخ للقضية الفلسطينية من عام 1948م إلى 1972م إنها وضعت وصورت حياة الفلسطيني في ظل الحياة الإسرائيلية بعد عام 1948م على مدى عشرين عاما كما شكلت هذه الرواية درسا في النضال الوطني وأرخت للشعب الفلسطيني اجتماعيا وسياسيا وأدبيا عبر مراحل قضية خلال الأعوام 1948-1972م هي تعبير حقيقي عن معاناة الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948م وتمثل وثيقة اجتماعية تاريخية تسرد قصة شعب اقتلع من وطنه، وقد استطاعت أن تتجاوز الهم الفلسطيني الخاص وتصبح رواية إنسانية عامة.

[37] . The Arabic Novel: Bibilography and critical introduction by Hamdi Sakkut, Page: 84.

هـذه الروايــة تتكـون مـن ثلاثــة كتـب تجسـد المراحـل الأساسـية للتـاريخ الفلسطيني الحديث وإن لها شخصيات متعددة لكل منها دور فعال في هذه الرواية ، فسعيد المتشائل في هذه الرواية يرمز إلى الفلسطيني الذي بقي في وطنه بعد النكبة ، ويعاد الفتاة الحيفاوية تمثل المرحلة السابقة للنكبة ، بينما باقية الطنطورية تمثل روح المقاومة والتثبت بالأرض والهوية العربية في وجه محاولات الاقتلاع والترحيل بعد النكبة حتى وقوع بقية الأرض الفلسطينية في الأسر مع هزيمة عام 1967م.

أما يعاد الثانية ابنة يعاد الأولى ، بإنها تجسد المرحلة الجديدة من الوعي الفلسـطيني التـي تبلـورت بعـد نكسـة عـام 1967م ، وانطـلاق الثـورة الفلسطينية.

هذه الشخصيات التي تقوم بدور قيادي ممتلئ بالحماس والعواطف ، وقد آمن إميل حبيبي في هذه الرواية بدورة المرأة الفاعل والمرأة برزت في صورة الحبيبة والزوجة والأم في المقاومة ضد الاحتلال ، وإنها احتلت مكانة سامية تشتمل على الدور الإيجابي في صورة مختلفة مر بها الشعب الفلسطيني في تلك الفترة، وهذه الرواية منقسمة إلى ثلاثة كتب وكل كتاب يحمل اسما لإمرأة وهي: يعاد، باقية و يعاد الثانية وكل قصة ممتعة جدا، تبعث روح التفاؤل في قلوب الدارسين.

قصة يعاد تبدأ من رحلتها منذ خروجها من بيتها من الناصرة مشيا على الأقدام عبر شفا عمرو، لتخبر اختها في حيفا بأن والدها قد ألقي القبض عليه

من قبل جنود الاحتلال، حيث كانت يعاد قد تعرفت على سعيد المتشائل منذ زمن بعيد وتحابا، يعاد الحيفاوية تدرس في عكا، وهي حب سعيد الأول[38] .

وقد وصفها بالجرءة والشجاعة حتى في حبها، فهي التي تسللت من الناصرة إلى حيفا دون إذن من السلطة ، وجاءت تعاتب سعيدا متوهمة بأنه السبب في القبض على والدها لتعاونه مع الاحتلال رغم أنه لم يفعل ذلك فقد جاء جنود الاحتلال لإبعادها، وقد حاول سعيد منعهم، إلا أنه لم يتمكن نظرا لمقاومته الهزيلة ، أما يعاد فقاومتهم بكل قوة ، إلا أنها اعتلقت بتهمة الدخول إلي حيفا دون تصريح ونفيت إلى ما وراء الحدود، على الرغم من ذل سعيد وانكساره، تبقى يعاد القيمة الإيجابية في حياتها، فهي تؤكد انتمائها لبلدها قبل خروجها منها بقولها (هذا بلدي وهذه داري) أما الزمن الذي دارت فيه أحداث الكتاب الأول فتمتد من عام 1948-1951م ، وقد وصف إميل حبيبي فيه البيوت العربية المهجورة وأبوابها المكسورة ، وركز فيه أيضا على الجزء الذي عاشه كعربي في ظل دولة الاحتلال الإسرائيلي وينهى الكتاب الأول بعلم سعيد إن يعاد ما زالت حية وراء الحدود ، فيعاد المرأة في الكتاب الأول يوحي اسمها بالعودة و ترحيل جنود الاحتلال لها.

هي تعبيرحي عن انتزاع شعب من أرضه وتفتيته بين النفي والبقاء تحت المعاناة وفي صرخة يعاد (إنني عائدة) نجد تصميما وعزما على العودة التي حلم بها المبعدون من الشعب الفلسطيني إلى الخارج.

[38] . great world writers twentieth century edited by Patrick M. o' Neil – 535.

وأما قصة باقية تتعلق بالكتاب الثاني، أكثر ممتعة جدا بكونها شخصية فعالة قوية ودورها البارز، هي معروفة بالفتاة الطنطورية علق بها سعيد في جسر الزرقاء وشغفها حبا، وهي تقف جنبا بجنب يعاد، شخصيتها تماثل بصفات يعاد ما يؤكد أنهما صورتان لشخص واحد يوصفها أميل حبيبي بأنها تتميز بشجاعة غير عادية فمبادرة المرأة إلى الحب عند أميل حبيبي لا تنفصل عن مبادرتها إلى القتال والمقاومة وقد تزوج سعيد من باقية بعد تنفيذ ما طلبته السلطات الإسرائيلية وهو التحريض على الشيوعيين ، وقد أنجبت له ولدا اسمه "ولاء" الذي انضم عندما كبر إلى مجموعة فدائية وقام بإقناع أمه باقية بالانضام إليه والهرب إلى ماوراء الحدود فولاء لم يكن مواليا لأفكار أبيه كما أن باقية لم تبق مع سعيد، بل هربت مع ابنها رافضة سياسية التواطؤ التي كان يمثلها سعيد المتشائل.

زمن الكتاب الثاني يمتد من عام 1951-1967م في حين كان التنظيم الفدائي في خريف عام 1966م ، رمزا تاريخيا بدلالة تتعلق بانطلاق الثورة الفلسطينية التي هدف إميل حبيبي عبر ذكرها ربط فلسطين الداخل بالخارج من خلال المقاومة ، تأتي خاتمة الكتاب الثاني في الخامس من حزيران من عام 1967م وهو يوم النكسة.

ومن المهم الإشارة هنا بأن باقية ترمز إلى الفلسطيني الذين بقوا في وطنهم بعد النكبة مصرين على الصمود على أرض الآباء والأجداد وشخصية ولاء تتحدث عن الجيل الجديد الذي يرفض الاحتلال الغاشم رفضا تاما ويتحدى هذا العدو بكل شجاعته وعزمه ولعل دورالأم الفاعل يبدو واضحا جليا في

تنشئة و تربية ولدها على الصمود والمقاومة والتثبت بعزم وقوة والكفاح المسلح ضد الاحتلال تتجلى هنا مسؤولية الأم في تربية الأبناء بقوة فاعلة و مؤثرة في مسار حركة البناء والتحرير ولا يستغرب ذلك فقد نشأت باقية نفسها في أسرة مناضلة ورثت النضال الذي أنشئت ابنها عليه من والدها ، وقد نجحت في ذلك.

نجد في الكتاب الثالث من الرواية إن سعيد المتشائل يلتقي بيعاد الثانية ابنة يعاد الأولى ، حيث تتصف بنفس الصفات من الجرءة والتحدي فجاءت تبحث عن أخيها سعيد الفدائي في سجن شظاء، فتجد سعيد الآخر"المتشائل" الذي توصيها أمها يعاد الأولي فيعاد تحسن الحديث والإصغاء والتصرف ، وبذلك يؤكد أميل حبيبي صفات يعاد الإيجابية.

فمأساة يعاد الثانية تظهر عندما أبعدها جنود الاحتلال بشكل أكثر تحضرا، فالمسؤل المعلم يعقوب يقرأ أوراقها ويعتذر لها الأمر الجديد الصادر بإلغاء الإذن بدخولها إلى إسرائيل حيفا وعن إلزامها بالعودة معهم إلى نابلس وذلك على مرأى من نظر سعيد أبي النحس المتشائل الذي لم يستطع أن يفعل شيئا لحمايتها ، ومنع الجنود من إبعادها، فقد حدث ليعاد الثانية ما حدث ليعاد الأولى.

أما الكتاب الثالث فزمنه يمتد من عام 1967-1974 م ويستدل على ذلك أن يعاد الثانية تعود بإذن رسمي من السلطات الإسرائيلية لتبحث عن أخيها سعيد الفدائي.

عند تأمل شخصية يعاد الثانية أجد شخصيتها تختلف عن شخصية يعاد الأولى ، وليست صورة مكررة عنها فالبنت ليست الأم وإن كانت امتدادا لها، وإن تشابهت الملامح والسمات العامة، فالطريقة التي أبعدوا بها الأم يعاد الأولى تختلف عن الطريقة التي أبعدوا بها يعاد الثانية البنت، إذ أن سعيدا لا يدرك هذه المسئلة. فأميل حبيبي يقدم يعاد المتطورة ويبقى المتشئل كما هو ، فأقصى ما يدركه سعيد أنها كان مخطئا في ولائه الشديد وإنه كان يتمنى أن يكون غيرماهو عليه ويكف عن التعامل مع السلطات كما كان يفعل ويتغير إلى النقيض، فهذا غير ممكن فامتداد يعاد الأولي إلى يعاد الثانية كما توحي يعاد الثانية باحتمال وجود يعاد الثالثة.

والواضح أن الأحداث التي دارت حولها بين يعاد وباقية ، كانت في أجواء من القمع والمتطاردة والاقتلاع من الجذور الأمر الذي زادها تثبتا أكثربالوطن وإصراراعلى التمسك به.

أما يعاد الثانية ابنة حب سعيد سعيد الأول "يعاد" فإنها ترمز إلى الطرف الآخر من الشعب النازح الذي لازال حالما بالعودة فتدخل يعاد الثانية البلاد بإذن من السلطات الإسرائيلية بعد هزيمة حزيران 1967م عبر الجسور المفتوحة وهذا يرمز إلى أن دخولها كان غير طبيعي في ظل الهزيمة إذ أخرجتها السلطات بعد أن ألغت تصريح الدخول.

فيعاد الأولى اللاجئة تثق بنفسها وبالعودة وتعرف طريقها بعكس سعيد الذي لن يتغير وسوف يبقى ينتظر ولن يفعل شيئا سوى الانتظار والسلبية فهو

ينتظر الأحداث أن تتحرك لتسجل ملحمة نضال هذا الشعب و تتمثل في مقاومة ولاء سعيد الفدائي، صمود باقية ، وعودة يعاد الثانية إلى أرض الوطن بمختلف الطرق.

أميل حبيبي في روايته جعل شخصية يعاد نامية متطورة، فعندما غادرت البلاد إلى ما وراء الحدود قد تزوجت و أنجبت سعيد الفدائي ويعاد الثانية وسعيد المتشائل أيضا تزوج من باقية وأنجب ولاء الذي انضم إلى صفوف المقاومة هو و أمه ، ويعاد الثانية اللاجئة تعود إلى أرض الوطن باحثة عن أخيها سعيد الفدائي بعد موت أمها التي سمت ولدها بإسمه إلا أنها أنشئته على حب الوطن والولاء له.

وفي موضع آخر من الرواية تحاول المرأة الفلسطينية اللاجئة اللداية ثريا عبدالقادر مقبول الرجوع إلى بيتها في اللد لاستعادة مسوغاتها التي دفنتها في أحد جدرانه، إلا أن ساكنة البيت لم تسمح لها بدخوله. فاشار عليها البعض من ذوي القربي اللجوء إلى الشرطة حيث تمكنت بواسطتهم استرجاعها، إلا أنها فوجئت بأخذهم مصوغاتها. وأن الشخصيات النسائية البسيطة غير المتعلمة التي ذكر إميل حبيبي في روايته والدة سعيد وزوجة أخيه ، ويظهر ذلك من خلال الحوار الذي أداره إميل حبيبي بين الأم وعروس ابنها كما إن المرأة لعبت دورا بارزا في رواية المتشائل هي المرأة المتعلمة وليست المرأة البسيطة، فيعاد الحيفاوية قد تعلمت في مدراس عكا ، وباقية كانت تقرأ كتبا ، ويعاد الثانية كانت تمثل الجيل الجديد المثقف فالمرأة تعي ما يدور حولها من أحداث وتأخذ الدور المؤثر الفاعل في الفعل الثورة

والـوطن الفلسـطيني، إذ شـاركت الرجـل مهامـه النضـالية كمـا فـي الروايـة نموذج المرأة المحايدة التي لا هم لها سوى إرضاع طفلها، ويظهر ذلك الذي دار بين المرأة من قرية البروة وأبو أسحاق اليهودي عندما صوب مسدسه صوب صدغ ولدها ، وأيضا خالته أم أسعد التي استسلمت للواقع وبقيت كما هي[39].

يمكن أن نقول إن المرأة الفلسطينية كالماء الذي لايترك البحر، يتبخر ثم يعود في الشتاء على شكل أنهاروجداول، ويعاد الثانية تنبأ بوجود يعاد الثالثة فيهـا دلالـة العـزم والإصـرار وتصـميم علـى العـودة إلـى إرض الـوطن (فلسطين) مهما طال الزمن.

كما ذكر سابقا بأن المتشائل يحمل معناه المتفاءل والمتشائم في وقت واحد وتذبذب بين هذا وذاك كما نفهم من دراسة الرواية أن سعيد كان عميلا للدولة الصهيونية في البداية ومن ثم يلتقي بسعيد آخر وهو أحد مقاتلي المقاومة الفلسطينية في المعتقل الإسرائيلي بعد حرب عام 1967م ، وهذا اللقاء يحدث تحولا في المتشائل ، وفي خضم حرب حزيران 1967م يقترف المتشائل وهو المعروف بذعره وحماقته، خطأ أحمق جعل الرجل الكبير يلقي به في السجن وقد كان يأمل أن هذا المخبر سيكون العين المبصرة للدولة بين السجناء وينهال عليه الحراس بالضرب المبرح لاعتقادهم أنه أحد رفاق الدرب مع سعيد البطل وأنه فدائي مثله، فيحزن عليه سعيد البطل،

[39]. جريدة حق العودة ـ العدد 45، ملخص الورقة البحثية المرأة الفلسطينية بين اللجوء والعودة في رواية المتشاءل.

ويغدق عليه كثيرا من الحب والاحترام الذي يحتفظ بهما الفلسطينيون تجاه أخوانهم في النضال.

وبعد خروجه من السجن يجد نفسه غير قادر على التعاون مع الأعداء فيصفع ويشتم ويهان، وهويحتمل كل هذا بالصبر والحازم للأحمق الحكيم الذي تزوده حماقته فجواز السفر إلى الأمان ليحمي حياته كما يعتقد ، لكنه في نهاية المطاف وفي نهاية الرواية يجد نفسه متورطا ويتمثل هذا الخازوق الطويل الذي يجد نفسه عليه والذي لايمكن أن تنقذه منه سوى المعجزة.

لقد أظهر كاتب الرواية بطل الرواية الذي هو المتشائل على أنه شخصية ممجوجة وشخصية متخاذلة وجبانة، وهي تقف على الجانب المقابل للشخصية البطولية المضحية والشجاعة التي تقاتل حتى الموت، لقد كان شخصية المخبر سعيد أبي النحس تسير نحو حتفها، ونحو دمار شعبها بأظافيرها أما البطل فيسير قدما نحو هدف افتداء نفسه وأمته بالدم ، لقد استطاع حبيبي أن يري الإنسان في أوضاع و مواقف ومختلفة في عالم مغلق التقى فيه الشران وولدت البطولة من الخراب الذي نجم عن لقاءهما، فولاء ابن المتشائل الجاسوس وقد قضى شهيدا مع أمه وسعيد على الرغم من حزنه المتنامي على أفراد أسرته فإنه يحافظ على شخصيته كرجل ضئيل مذعور ومستعد دائما لارضاء من يملكون زمام أمره ولا يستيقظ وعيه استيقاظا كاملا إلا بعد أن يقع ضحية لسياط حراس السجن الإسرائيلي ولا يشعر بالكرامة إلا بعد أن يرى الشخصية المبجلة الدامية في السجن وهي شخصية البطل سعيد تتحمل قدرها برباطة جأش.

وبالجملة يحق لنا القول أن أميل حيبي اختار هذه الشخصية المتخاذلة الجبانة لتمثيل الأوضاع الحرجة في فلسطين ومن خلال هذه الشخصية السلبية يريد المحاربة لهذه الصفات السلبية مشتملة على الجهل والخوف والذعر ويرسل رسالة الثورة الشعبية والنضال ضد الأعداء كما في الأخير ينضم المتشائل إلى صفوف المقاومة، هو دائما يقول للشعب الفلسطيني أمضوا في مقاومتكم هذه المقاومة هي السبيل الوحيد لاسترداد الحقوق الشعبية.

أهمية رواية المتشائل وعلاقيتها في العصر الحاضر

إن روايـة المتشـائل لإميـل حبيبـي تعتبـر نمطـا جديـدا فـي الأدب العربـي استطاعت إبراز الأشكال اللامعقولية من العدوان الإسرائيلي ، تلك الأشكال التـي مارستها، ولاتـزال تمـارس إسرائيل علـى الشـعب العربـي الأعـزل فـي فلسطين حتى اليوم.

في الحقيقة إنها كتبت قبل خمسة عقود تقريبا ولكنها تتجدد بمرور الزمان وأهميتها باقية وهي تسترعي انتباه الكتاب والباحثين إلى يومنا هذا. كما أن رسـالتها عالميـة ولا شـك فـي أن هـذا الموضـوع أو الفكـرة الرئيسـية التـي تدورحول هذه الرواية موضوع ملائم للمأساة، فهي تحكي جميع أنواع القتل والـدمار والحرائـق والحـروب والثـورات، وكـل الفوضـى التـي ترافـق انتفاضات كبرى من هذا القبيل في التاريخ وهذا هو صلب الأدب الحديث ولكـن الأدب الفلسـطيني الأدب المعاصـر يثيـر أسـئلة لا تمـت إلـى حـدث تـاريخي بعينـه بـل تتخطـاه لتسـبر أغـوار قضـايا الظلـم والعـدوان والقهـر وتفرض الوعي الإنساني المعاصر التي يعترف بوجوب تحدي جميع أشكال الطغيـان، وتحقيـق الإسـتقلال والحريـة والكرامـة الإنسـانية التـي تتأصـل جذورها كلما ازدادت آلة القهر في قمع حركات التحرر.

ومن الجدير بالذكر أن أول من اخترع مفردة "المتشائل" روائيا هو الكاتب الفلسطيني أميل حبيبي وهي اشتقاق من كلمتي متشائم ومتفاؤل ومن يقرأ هذه الرواية يدرك أهمية أن يكون الإنسان متفاؤلا و متشائما في وقت واحد.

ورغم أن تلك المرحلة الفلسطينة سياسيا كانت أقرب إلى روح التفاؤل، إلا أن صاحب الرواية كان ينظر إلى هذا التفاؤل بشئ من الحذر انطلاقا من رؤية سياسية مبنية في الأساس على ثقافة أميل حبيبي العميقة، وقد عمق من هذه الرؤية ذلك الانتماء السياسي الذي عرف بحبيبي بين الكتاب الفلسطينين على وجه التحديد وهو انتماء يؤدي في النهاية إلى وظيفة واحدة جوهرية بالنسبة إليه وهي خدمة الأدب للقضية الفلسطينية ورغم أن هذه الوظيفة يجب أن تقوم على الجدية والالتزام والمسؤلية الأدبية والأخلاقية إلا أن حبيبي كتب رواية سياسية فلسطينية تماما بروح ساخرة في إطار سردي حكائي يكاد يقترب في حرارته و تلقائيته من السرد الحكائي الشعبي لسنا في معرض استعادة الرواية قرائيا ونقديا بعد مرور أكثر من أربعة عقود على صدورها ولكن بعد هذه السنوات الطوال من عمر التراجديا الفلسطينية ألا يبدو الفلسطيني حقا كائنا متشائلا أو شخصية متشائلة بامتياز بحيث يمكن القول بإن إميل حبيبي لم يكن روائيا ساخرا في هذا العمل السردي فقط بل هو روائي بنيوي بامتياز أيضا.

اليوم ما الذي يمكن أن نسوقه من حيثيات و مبررات لنقول إن الفلسطيني متفاؤل ويجب أن يظل متفائلا وهو يرى هذه الكوميديا السوداء التي تجري في بلاده وهي كوميديا أبطالها سياسيون ونخب قيادية منقسمة على بعضها باطنها سياسي غير ظاهرها، وظاهرها غير باطنها إلى درجة عالية من الفوضى والالتباس بين التشائم والتفاؤل يقع الفلسطيني تماما في حالة سياسية متوترة وغير مفهومة نعم الفلسطيني المتشائل اليوم وهو هنا

الفلسطيني الفقير والمسحوق الضائع بين الأقدام المتناحرة أنه الفلسطيني الذي سماه إميل حبيبي سعيد إبي النحس وهو يحمل سعادته و نحسه على ظهره من أكثر من سبعين عاما ولم يتلطف به أحد.

هذا من جهة وفقا للظروف المتوترة، ولكن هناك جانب آخر بالنسبة لرسالتها عالمية من حيث المقاومة والدفاع عن حقوق والشعب الفلسطيني كما الدكتور عادل الأسطه يقول: إن أهم ما يميز بطل المتشائل هو التغابي، لا الغباء فقد كان يتظاهر بخدمة الدولة من أجل البقاء على أرض وطنه وهذا ما اكتشفه المسؤولون عنه ، فقد رأوا في سلوكه تفريطا في الدولة لا أفراطا في الولاء بها لها.ومن هنا قالوا له كنا نحسبك حمارا فإذا أنت أحمر أي شيوعي وذهب الدكتور عادل إلى إن إميل حبيبي يفضح الفكر الصهيوني في روايته و حجته في ذلك أن بطل الرواية يرفض المقولات الصهيونية القائمة على التعالي على الآخرين من ناحية ، ومحاولة إثبات الذات من ناحية ثانية ، ويتمثل هذا في أن الإسرائيليين يزعمون أنهم أجدر بفلسطين من غيرهم ولهذا حولوها إلى الجنة ويسخر بطل رواية حبيبي من هذه المقولات وينقضها وخلص الدكتور إلى إن رواية المتشائل هي نقد للفكر الصهيوني من أساسه وبذالك واصل أميل حبيبي ما بدأ غسان كنفاني في روايته " عائد إلى حيفا". أميل حبيبي وقف لمصلحة فلسطين وليس ضدها لسعة ثقافته واطلاعه، وما سعيد، بطل الرواية ، إلا حبيبي نفسه وفي روايته يدافع عن نفسه وحقه في الوجود.

خلاصة رواية سداسية الأيام الستة

رواية سداسية الإيام الستة هي من أهم الأعمال الأدبية لإميل حبيبي، تم نشر عمله الأول هذا عام 1968م بعد هزيمة حزيران 1967م التي استمرت ستة أيام انقسم فيها الشعب العربي في فلسطين إلى شطرين، الشطر الأول يتمثل بأهل الضفة والقطاع والخارج " الدولة العربية " والشطر الآخر يتمثل بالعرب الذين بقوا في الأراضي المحتلة فإن حبيبي استعار أيام الحرب الستة لإسم روايته التي كتبها بعد تلك الحرب من هنا حبيبي أول من صاغ رواية عن الوضع الإنساني الفلسطيني في ضوء الاحتلال الذي يجعل صاحب الأرض غريبا ويجعل المحتل سيدا على الأرض وأصحابها تتكون السداسية من ست لوحات بأسماء مختلفة، وهي 1: حين سعد مسعود بابن عمه. 2: إخيرا نور اللوز. 3: أم الروبابيكا . 4: العودة . 5: الخرزة الزرقاء وعودة جبينة. 6: الحب في قلبي.

ورغم الاختلاف في تسميتها إلا أنها تتسم بوحدة الموضوع وهي رواية لها شكلها الفني المميز وبعضها المعبر على آلام المقهورين وطموحاتهم ومحاربة كل الأشكال التي تحاول إشاعة معاني اليأس والهروبية حيث عكس الكاتب من خلالها أوجاع الأقلية الفلسطينية التي بقيت داخل الوطن المحتل عام 1948م وهي رواية من الأدب المقاوم، لاقت ذيوعا وانتشارا واسعين في العالم العربي وتركت بصماتها في أدبنا العربي ولم يكن إميل حبيبي حين كتب السداسية يحترف الأدب فلم يكن كتب ما بين العام 1948-

1968م سوى قصص قصيرة قليلة لاتتجاوز أصابع اليد الواحدة بالإضافة إلى تمثيلية قصيرة.

ولكن حين قدم لكتاب سداسية الإيام الستة يوم صدرت في حيفا بعد أن ذاع صيته في العالم العربي بسبب السداسية أشار إلى إنه يحترف السياسية ويتذوق الأدب في بداية سداسية الإيام الستة نرى أن الراوي يحكي ست حكايات تدور جميعها حول عودة الفلسطيني إلى بعض من أهله من خلال واقعة الهزيمة عام 1967. إنها عودة معكوسة تبدو فيها الهزيمة مفارقة ساخرة وتعليقها مواربا على التراجيكوميديا الفلسطينية وتمثل حكاية الطفل مسعود الذي كان والدها من العرب الباقين وأعمامه من العرب المشردين، الحكاية التي تكشف عمق هذه المفارقة الساخرة، إن الطفل الذي يظن، هو وأبناء حارته، أنه مقطوع من شجرة لا أعمام ولا الأخوال،يتكشف بعد الهزيمة أن له أعمام و أبناء أعمام، فيتيه على أقرانه. همه وأبناء عمه الذين اكتشف وجودهم يعد أن احتلت الضفة الغربية لقد أضفى هذا الاكتشاف على حياته معنا جديدا، ولكن وضعه في الوقت نفسه في مأزق لم يجد له حلا، إذ أنه يؤمن بالأفكار السياسية التي تحملها أخته بضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها ولكن ذالك سيعيده إلى حالته الإولى مقطوعا من شحرة لا عم ولا ابن عم.

ينسج إميل حبيبي على بؤرة هذه الحكاية التي تبدأ بأغنية فيروزية (لماذا نحن يا ابت؟ لماذا نحن أغراب؟ أليس لنا بهذا الكون؟ أصحاب وأحباب) خمس حكايات أخرى عن العودة المقلوبة لشطري الشعب الذي وحده

الاحتلال، حكاية العائد إلى ذكرها حبه الأول ولكنه في غمرة جيشان عواطفه ينسى إنه المحب العاشق المقصود بالحكاية أو حكاية أم الروبابيكا " التي عاشت على ذكريات ذكر الراحلين من أهلي فلسطين تشتري أثاثهم لكي تتوحد مع ذكرياتهم، وحكاية البنت من الناصرة التي أحبت فتى مقدسيا انتظرته حتى يخرج من السجن وحكاية جبينة" التي عادت إلى أمها العجوز شبه المقعدة ، وحكاية الصبية المقدسية التي تشاطرت السجن مع صبية حيفاوية.

في هذه الحكايات الست يضئ مشهد اللقاء ، لقاء شطري الشعب الذي مزقته النكبة وشردته في أقاصي الأرض، المعنى الضمني الذي يقيم في قلب هذه الحكايات و يكشف من المفارقة الساخرة والفرحة للقاء شطري الشعب الممزق تحت حراب المحتل، ويبدو لي أن مشهد اللقاء هو الذي يوحد هذه القصص الست ويقربها كثيرا من النوع الروائي إنها تنويع على المعنى الضمني نفسه، ست حركات تنقل لنا أزمة الوجود الفلسطيني بعد هزيمة حزيران من خلال استعراض مشهد اللقاء المؤثر في سياق يكاد يعصف بالقلب والمشاعر. وفي هذا السياق تتوحد الحكايات الست التي تؤلف سداسية " في قالب شبه روائي يكون فيه الراوي هو الخيط الناظم للفضاء الذي يظلل الحكايات والشخوص التي تسكنها.

أول عنوان لهذه الرواية" مسعود سعد بابن أمه" يقول لنا هذه السعادة لم تكن عادية ذالك أنها جاءت بعد شعورمسعود بغربة داخل وطنه سببها نكبة العام 1948م وقد لاحظنا ونحن نقرأ قصة نجوى قعوار فرح "أمر الخيارين"

والقصة "توفيق فياض الحارس" المأساة التي ترتبت على الحرب تشرد العائلة الفلسطينية وتشتها، وحين تم اللقاء في قصة قعوار، انتهت القصة بالموت، لقد ظل مسعود، في الناصرة، تعسة عشر عاما كأنه مقطوع من شجرة فلا أقارب له لا أعمام ولا أبناء عمومه، فهؤلاء كلهم في حنين أو في المنفى، ولاإمكانية للقاء، صحيح، أنه بين أهله الفلسطينين في الناصرة، ولكن أهله هؤلاء ليسوا أقاربه.

فمن سيقف إلى جانب مسعود حين يختلف مع رفاقه الأطفال، وهكذا سيظل مسعود مقطوع الأصل والفصل، حين سعد مسعود بابن عمه، اختلف سلوكه واختلفت تصرفاته، بل اختلف سلوك الآخرين وتصرفاتهم نحو، بل أن معاملة أمه له أيضا اختلفت قد وجدها لأول مرة تفهمه ولا تعانده، قامت مع الفجر وفتحت صندوق الثياب وألبسته بزة العيد بنطلونها الطويل، وللأول مرة لما يعاند والده فغسل وجهه دون جر ودون لكمات. وتظاهر بالأدب في حضرة ابن عمه ، سامح، الذي في مثل سنه ولأول مرة أفطر دون أن يشرشر على قميصه، ولأول مرة وجد أخاه الكبير، مسعدا، يدس في جيبه و في جيب سامح قروشا.هذا، وغيره، ما حدث حين سعد مسعود بابن عمه، التقى به بعد أن كان الآخرون يظنون أنه مقطوع الأصل والفصل ولقد تبين له أنه ليس كذالك وأنه ليس غريبا في هذه الدنيا.

كأن لسان حال مسعود، قبل أن يلتقي بابن عمه لسان حال فيروز وهى تغني :

لماذا نحن يا أبت؟؟؟

لماذا نحن أغراب؟؟؟

أليس لنا بهذا الكون؟؟؟

وأصحاب وأحباب؟؟؟

وسيزول هذا الشعور وهذا التساؤل، حين يلتقي مسعود بابن عمه، ولن يحيا طالما ظل سامح بصحبة مسعود، بمشاعر مثل هذه، ولن يتساءل مثل هذا التساؤل ولكن النهار يوشك أن يغرب، ولا بد من أن يعود سامح إلى المكان الذي جاء منه وهذا ما سيقلق مسعودا.

ملخص القول : في هذه الرواية نلحظ انعكاس الهزيمة على المجتمع الفلسطيني وهو انعكاس يبدو للوهلة الأولى، إيجابيا، وبعد أن كانت العائلة متشتة لا يعرف أفرادها بعضهم بعضا، اجتمعت العائلة وسعد أفرادها، وهكذا ولدت الهزيمة السرور، على الأقل مسعود بابن عمه، ولكن هذا اللقاء الذي تم بعد افتراق نجم عن الهزيمة نقيضه، فقد افترقت عائلات كثيرة من جديد، لم تعد ترى بعضها إلا عند الضروري القصوى لم يعد كثيرون من الفلسطين ، من أصل الضفة والقطاع، ممن لهم أقارب في الشام أو في لبنان قادرين على لقاءهم إلا بعد مشقة، وهكذا افترق الفلسطينيون من جديد وازداد الأمر تعقدا والهزيمة التي وحدت الفلسطينيين تحت الاحتلال وجمعت الأسرة ولئن كان إميل حبيبي في قصة يصور لقاء العائلة ، ولا يقص عن تجربة ذاتية ولا يصور أثر الهزيمة عليه شخصيا فإن قارئ

الأدب العربي والفلسطين منه يلحظ تأثير الهزيمة عليه بوضوح أي الأدب. وربما تذكرهنا الشاعر نزار قباني والشاعر مظفر والروائي عبدالرحمن منيف، وربما تذكرأيضا الشعراء محمود درويش وتوفيق زياد وفدوى طوقان نرى النزعة المازوخية في أشعار قباني ومظفر وفي رواية منيف" حين تركنا الجسر" أوضح ما تكون. لقد انعكست الهزيمة عليهم سلبيا. وعلى النقيض من الأدباء العرب بدأ الشعراء المقاومة في الداخل رأى زياد في الهزيمة كبوة، وإصرارا على التحدي والمواجهة. وظل وفيا لآراءه حتى وفاته وذهب درويش إلى إنه في لحم بلاده، وهي فيه، وإنه لا يكتب إشعارا وإنما يقاتل، وإن حبه لبلده لم يُفتت بين السلاسل.

وحين زارته فدوي طوقان في حيفا تعلمت منه ومن رفاقه الكثير، وهي إذا كانت الهزيمة تبكي، منطوية على نفسها، معبرة عن تجاربها الذاتية، حيث وجدت الوحدة والعزلة والغربة فإنها تعلمت من الهزيمة، ومن رفاقها الشعراء ، ووعدتهم ألا تبكي بعد اليوم ، وغدت شاعرة تكتب الشعر المقاوم.

دراسة رواية إخطية (خلاصتها)

إخطية هي كلمة عامية وعنوان يحتاج إلى وقفة متأنية والعناوين عند إميل حبيبي تحتاج إلى دراسة متسقلة فيها معاني دقيقة لكونها رامزة. عنوان هذه الرواية "إخطية" الكلمة العامية الفلسطينية العربية تتراوح بين اسم لطفلة في عامها الأول ، واسم للفتاة التي اعتدى عليها ولدت كسيحا واسم للخطيئة التاريخية التي يعبر عنها قيام دولة إسرائيل واسم لما اغتصبت الصهاينة من فلسطين واسم لأي من الخطايا ـ الهزائم في الصراع العربي الإسرائيلي واسم لأي من الخطايا المشابهة في تاريخ البشرية هكذا نقرأ " هل أنت إخطية الأولى أم الثانية أم الثالثة أم العاشرة، ونقرأ : خطيئة إخطية وقعت قبل نصف قرن" وإذ نبلغ نهاية الرواية ، نقرأ ذهب الذين أحبهم وبقيت إخطية في لحظة من اللحظات، في شارع من شوارع حيفا، المكتظة بالسابلة وبالسيارات، خرجت العفاريت من الصدور، والتقت في وادي عبقر في رابعة النهار، كل يسأل عن إخطية، كيف تركها ولماذا تركها وكيف حالها.

ولكن في هذه الرواية اسم للفتاة التي يحبها الجميع، وبطلة هذه الرواية وصورة للمرأة البطل في الرواية و نهضت كشخصية مقاومة للعنف الصهيوني وللعدوان المستمر. واسم لفلسطين كرمز.

هذه الرواية تبدأ من لغز الإمير الفاضل الذي يشير إلى الصراع الفلسطيني الصهيوني إن إخطية هي ابنة أحدى العائلات العريقة في حيفا، عائلة عبد الكريم، هي العائلة التي تنجح من عذاب حيفا القديمة، وهي العائلة التي

تتعلق بالطبقة الكادحة الأصلية، كانت جريئة في التعبير عن أفكارها وموافقها، وكانت تجدر بالتأثير على الأخرين.

يقوم النص على حدث مركزي هو كالتالي: اضطراب حركة السير عند عمود ضوئي بسبب ظهور شخص غريب عن المكان، غريب بهيئته (ملثم بكوفية) فأشاع الفوضى والخوف في هذا الفضاء الذي أصبح سببها بالجد المصاب، كما عنون بذالك السارد أحد أقسام نصه بجلطة توقفت فيها حركة السير، وتعبأت ، بسببها كل مكونات، الكيان الصهيوني، الحدث المركزي في الرواية هو جلطة توقف فيها السير، سير التاريخ قبل أن يتوقف سير السيارات! وإذا كان السارد قد روى لنا ما جرى في تلك اللحظات من حالة استنفار للعدو بحثا عن الرجل الملثم، فإن السارد وهو قابع في سيارته، منتظرا نهاية هذه الميلودراما، في هذه الإثناء ترك لنفسه العنان إلى أن حلت المفاجأة المجسدة في امرأة ممزقة الملابس، تحمل طفلة صغيرة وتهرول وسط السيارات المتوقفة ، لم يكن والوجه غريبا عنه، إنها هي إخطية التي مازالت كماهي ، ملامحها لم يتغير، ، وفي هذه الإثناء غادر السارد السيارت المشلولة مطاردا إخطية التي اختفت في الزحام.

وهي تتألف من ثلاثة دفاتر، وكل دفتر من هذه الدفاتر يحمل عتبته أو نصه الموازي الدال: الدفتر الأول يحمل عنوان (شخوص) مذيلا بفقرة من مروج الذهب (المسعودي) حول أيام المعتضد العباسي وحكايته مع الشخص الغريب الذي كان يظهر له في منزله بصور مختلفة بالرغم من إقفال الأبواب والبيوت.

والدفتر الثاني عنوانه إخطية مذيل ببيت " لنصر بن يسار" من جهة، وقول لماسيلاس من جهة ثاينة. أما الدفتر الثالث، فعنوانه" وادي عبقر" مذيل ببيتين لـ عمرو بن معديكرب" إن هذا التبويب للنص يدفعنا إلى الوقوف قليلا عن دلالة الدفتر عوض الفصل أو القسم، أو الاكتفاء بالرقم على سبيل المثال.

استعمال الدفتر يؤكد على ما سبقت الإشارة اليه من تجذر النص في الحكاية اليومية، فالدفتر أقرب إلى العفوية (دفاتر التلاميذ) أقرب إلى البراءة، وهو بالإضافة إلى هذا وذالك، الفضاء الأول للحميمية الصفحات الأولى للحب والرغبة والطموح إلى التأدب، الدفتر يختلف عن المذكرة واليوميات، وهو يختلف عن السيرة، بالرغم من توظيف لعناصر" أتوبيوغرافيه" ويختلف عن الاعترافات كذالك من الرغم من استعماله للبوح والهمس أحيانا، والصراخ أحيانا أخرى، يختلف عن كل ذالك في كونه. وهذا ما يجمع الأنماط الثلاثة السبغة لايخضع لتخطيط مسبق. بل هو وليد هذه الرغبة في الحكي دون رقابة أو حواجز أو من ناحية ثانية – السير على نموذج مسبق في الكتابة.

ولذالك كانت – الدفاتر بمثابة تسجيل حكائي لـ " إخطية" في الذاكرة والوجدان في التاريخ والأسطورة، لدى المنفى والمقيم، والطفل والشيخ، الحجر والشجر، المهاجر والعائد. والدفاتر هي محاولة للحفاظ على هذه الذاكرة خوفا من التشويه والضياع تشويه الذكرى وضياع الدليل، ضياع إخطية.

من هي إخطية؟ هل هي امرأة؟ هل هي شخصية الرواية الإساسية؟ لماذا تحولت إخطية إلى سروة (شجرة السرو العالية) الفتاة السمراء التي كان يتمناها الجميع ما العلاقة بين السارد والسروة التي كانت الدليل الوحيد للوصول إلى إخطية لماذا تعرضت لذالك الحادث المأساوي بعد أن اقتربت من الوصول إلى حقيقة إخطية فسقطت من أعلى شجرة سرو- ويا للمصادمة الغريبة بين الإسم والشجرة على صخر بحري نقي غسلها ماء الشلال منذ بدء الخليقة.

إن إخطية ليست خطيئة ، بل نحن الذين جعل منها خطيئة، ولم لم نتعمد ذالك، علما بأننا قد تعمدناه مرات عديدة وما علينا إلا أن نبحث عن الخطيئة الأولى والثانية إلى مالا عدله ولا حصر من أخطاء ارتكبناها اتجاه إخطية " ما هي إخطية إذن ؟ إنها هي البلاد التي تحمل جرحها السري النازف باستمرار، والتي لا يتردد كل من مربها أن يقذفها بصفات ونعوت الخطيئة. من المخطئ إذن؟ بل من يمثل هذه الخطيئة؟ ومن المؤكد أن إخطية لو كانت خطيئة لانتهت منذ أمد طويل ولكن أن تبقى إخطية وذهب الآخرون. فذالك هو الدليل على أننا نحن الذين نحمل الخطيئة ونعيد إنتاجها باستمرار ونخلعها على من نريد.

ينهي السارد الدفتر الثالث بتوزيع جديد لبيت عمرو بن معديكرب.

ذهب الذين أحبهم

وبقيت مثل السيف فردا.

وفي تقييم رواية إخطية يقول د. ياغي "وقد جعلها حكاية وطن تسرقه من أهله مجموعة من عصابات أشبه بالمافيا الدولية، تستوطنه وتتقوى حتى تصبح مردا جبارا متعجرفا، ويسكن هذا المارد هاجس الأمن ويصبح كأنه ملدوغ، وقد قذف في جوفه الخوف فيخاف من (جر الحبل) أو من خشخشة الحرير) ويواجه المارد واحد من أهل الوطن، إنسان عادي، محب، يكبر، وينشر ليصبح العاشق لهذه السمراء إخطية ويتحول المارد أو المردرة (إي ثعالب تعوي) في الليل على اعتاب البيوت[40]، هناك معاني واسعة لإخطية متعدد الدلالات.

لعل الخلاصة المركزية المستخلصة من هذا النص المميز، تكمن في كونه يعد محاولة تأصيلية لردم الهوة بين السارد والتراثه، بين الملتقى وتراثه السردي، ومن ثم فإميل حبيبي لايعتبر نفسه معاصرا يحاور تراثا، بل يعتبر نفسه ساردا يسرد كما يجب أن يسرد، وصوتا يتكلم لغته السردية كما يجب أن تكون، عاجلا أو آجلا ، بغض النظر عن زمن السارد، إذن بهذه المواصفات يصبح ساردا صالحا لكل الأزمنة. وكذالك هذه الرواية تصوير حقيقي للجزء الواعي من الشعب الفلسطيني الذي بقي على أرضه وصمد في وجه الاحتلالين الأول والثاني، وفيها رسالة عظيمة للمقاومة العروبة الوطنية.

[40]. في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية ص 48. وانظر البحث عن إيقاع جديد مصدر سابق 239 - 254.

الفصل الثاني

دراسة الجوانب المثيرة للقضية الفلسطينية في ضوء الروايات

يمثل عمل أميل حبيبي تيارا أساسيا في الرواية العربية المعاصرة أسلوبا ومضمونا، لكل رواياته أهمية قصوى ولها حضور ملموس لدى الكتاب والباحثين وتعطى كل منها رسالة مفيدة لكل القاصي والداني عامة والفلسطيني خاصة، فيها صدى ضد الظلم والجهل والصمت، ورسالة عظيمة نحو المستقبل الزاهر والغد الموعود، في هذا الفصل سنبين الجوانب المثيرة للقضية الفلسطينية في ضوء الروايات.

دراسة الجوانب المثيرة في رواية المتشائل:

إن من يستقرأ دراسة هذه الرواية يجد بأنها تحمل معاني عميقة واسعة مفهومة وتتفرع مهنا نقاط مهمة نذكر منها ما يلي-

1. دحض الفكر الصهيوني الاستشراقي من خلال اللغة: مما لا شك فيه أن أميل حبيبي في روايته المتشائل يدحض الفكر الصهيوني القائم على التعالي والاستخفاف بالآخرين اللغة هي حفظت الوطن الفلسطيني من الاندثار لأن الإسرائيلي دمروا قرى كثيرة، وغيروا جغرافية المكان إلا إن نصوص إميل حبيبي حافظت على الصورة الأولى للمكان وصانته من الاندثار وهذا ما جعله يقول: " صنعت نصا تذكاريا لكل قرية دمرت، فهل فعلت ذالك متعمدا، فقلت نعم: لقد

قصدت ذالك بل وقمت بعملية بحث واسع وفي مقابلة ثانية يقول ردا على السؤال: هناك متعة شديدة باستعاد الاماكن والقرى في رواية المتشائل يقول اردت بذالك أن أبرز هنا مدى الخسارة، هذا أكثر ما أزعج الإسرائيليين.

والمهم الإشارة هنا إلى مقولة الصهيونية عن أرض فلسطين إنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " وقد كانت المتشائل تدحض هذه المقولة الممارسة وذالك حين أورد صاحبها أسماء القرى المهجورة من ناحية وحين تحدث عن شتات الفلسطين وتفرقهم، وحين عزز حضورة وبقاءه في فلسطين، في المتشائل " يأتي أميل حبيبي على اللغة لا ليقول ما قاله آنفا، فما قاله مارسه فعلا وهو يكتب وإنما ليدحض الفكر الإستشراقي الصهيوني ، فيما يخص فكرتهم إتقان العرب لغتهم، فماذا أورد في المتشائل عن اللغة وكيف دحض إميل حبيبي آراء المستشرقين الصهيونيين.

يدعم إميل حبيبي قوله بالفصل الثاني عشر من الكتاب الثاني" باقية" وعنوانه حادث أصعب على التصديق على الأحياء، جل ما نجد في هذا الصدد هو أن سعيد ينشغل عن ابنه ولاء بالبحث عن الذهب، ويفاجأ في أثناء بحثه بالإسرائيليين يحيطون به، يجب أن القيامة قامت، فيزوغ بصره، فيما كان الإسرائيليون يفغرون أفواههم ويصرخون في وقت واحد، "بكلام لم التقط منه سوى شتائم عربية أضحكتني صياغتها غير المألوفة، فضحك سعيد، وأضحكه ضحكة حتى أغرب في الضحك لدرجة تقطعت فيها خواصره.

والعبارة الدالة هي " شتائم عربية أضحكتني صياغتها غير المألوفه، يذهب بعض المستشرقين إلى أنهم يعرفون العربية أكثر من معرفة أبناءها لها، وقد يتمادون في زعمهم فيقولون: إن العرب لا يعرفون لغتهم وسيواصل سعيد دفاعه عن إلمام أبناء قومه بلغتهم في الفصل الثاني من الكتاب الثالث "يعاد الثانية" وعنوان الفصل كيف أصبح علم الاستسلام من فوق عصا مكنسة، علم الثورة على الدولة.

"يجدر بنا أن نذكر اقتباس ذالك النص الذي يرد الفرية الاستشراقية "فقلت إنني رفعت الشرشف على عصا المكنسة ملبيا أمر المذيع من المحطة الإذاعة الإسرائيلية. قال حمار، حمار! قلت: ما شأني إذا كان حمارا؟ ولماذا لاتستخدمون مذيعين سوى الحمير؟ فأهمني إن المعنى بحمار هو أنا أما مذيعو القسم العربي في محطة الإذاعة الإسرائيلية فكلهم عرب، ولذالك أساؤوا صياغة النداء، فالتبس الأمر عليك، يا أحمق[41].

ويواصل سعيد فدافعت عن بني قومي الذين يعملون في محطة الإذاعة قائلا: ماعلى الرسول إلا البلاغ يحتفون بما يلقنون[42].

كأنما إميل هنا يقول: أنتم الذين لا تعرفون العربية، وأنتم الذين تسيؤن الصياغة لا أبناء قومي ، بل إنه يقول هذا، وإذا ما التفتنا ثانية إلى الفقرة الأولى لم التقط سوى شتائم عربية أضحكتني صياغتها غير المألوفة" اتضح

[41]. الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل: ص 154.

[42]. الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل: ص 154.

لنا دحض إميل للفكرة التي توجد في قلوب المستشرقين طبعا يستثني إميل اليهود العرب، فهؤلاء يتقنون العربية، في الفصل التاسع من الكتاب "يعاد الثانية" وعنوانه عودة يعاد إلى البيت القديم" تستغرب يعاد إتقان اليهود العربية ظانة أنهم يهود قادمون من أوربا فيقول لها سعيد! بل هم قادمون من بلاد العرب ولم يتغير عليهم شئ حتى ولا الشتيمة يشتمون ويُشتمون بلغة الضاد.

2. رد على شعور التمييز والتفوق

ومن يقرأ الأبيات الصهيونية يلحظ تركيزها على تميز اليهود واختلافهم و تفوقهم وكان غسان كنفاني هذا في كتابه في الأدب الصهيوني دحض فكرة شعور اليهود بالعصمة والجدارة أمام عدم جدارة الشعوب الأخرى. نرى بطلان الفكر الصهيوني في رواية المتشائل في الفصل التاسع من الكتاب الأول "يعاد" وعنوانه الإشارة الأولى من الفضاء السحيق " يلتقي سعيد بمعلمه العربي في جامع الجزار، ويجري ما بين الإثنين حوار يخبر فيه الأستاذ تلميذه عن رأيه في اليهود، ومما قاله، والحقيقة، يا ولدي، أنهم ليسوا أسوأ من غيرهم في التاريخ الخ. يعقب إميل حبيبي نفسه على هذه الحادثة قبل موته بشهر، حين يسأله أحمد رفيق عوض عن الإنفاق التي مشى فيها سعيد في العام 1948 ويعلق قائلا:

هذه الأنفاق موجودة حتى الآن، أردت أن أقدم للقارئ، بالإضافة إلى المتعة الأدبية الفنية، بعض المعلومات التاريخية هذا ما جعلني أدخل معلومات

تاريخية، مثل قضية الصليبين، في الإنفاق أردت أن أبرز شيئا وهو أن الصليبين كانوا يذبحون المسلمين في المساجد وفي بيوتهم، أما الإسرائيليون فليس بهم حاجة إلى الدخول في البيوت والمساجد، لأننا نحن نخرج إليهم فيقتلوننا في الخارج في إسرائيل، أنه لايوجد قانون إعدام. ما حاجتهم إلى قانون إعدام إذا كانوا يعدمون الناس بلا قانون، أنا أحاول دائما أن أرد ردا إنسانيا على حجج الصهاينة.

يقال إن ذكاء اليهود وتظاهرهم بمعرفة كل شئ لأنهم متفوقون تكنالوجيا كذبة كبرى هكذا يكتشف سعيد الأمر وبعد سنوات من دحض إميل حبيبي هذا الإدعاء يقول أحد المفكرين إن نجاح المخابرات الإسرائيلية في تحقيق أهدافها في غزة والضفة لا يعود إلى وسائل حديثة وإنما يعود إلى المتعاونين الفلسطينين معها.

يعزز إميل سطره الأخير الوارد في الفقرة السابقة بسطرين يردان في الفصل السابع عشر من كتاب يعاد "وعنوانه" هل كان سعيد هو رأس الجيش. تبرز إداعات إسرائيل بعدم جدارة الشعوب الآخرى وهم هنا العرب، حين يخاطب كبير الضباط، في الفصل السادس من الكتاب الثالث " يعاد الثانية" وعنوانه سعيد ينشد أنشودة السعادة" سعيدا قائلا: لو كنت في بلد عربي هل كنت تجرؤ على التباهي بورقة الإقامة الجبرية إن ديموقراطيتنا لا تصلح لكم.

3. أسلوب الضحك هو فلسفة للمقاومة:

رغم ملكة الظروف التي نشأ وترعرع في أجواءها الروائي الفلسطيني إميل حبيبي الذي استطاع أن يسلك في سبل الرواية العربية مسلكا مغايرا للمتداول والسائد حيث ذهب باتجاه استلهام الموروث إلى جانب جرأة في التعامل مع اللغة كما كان يلجأ عادة إلى استخدام الرمز والكناية والإشارة من بعيد نتيجة للظروف ذاتها وعلى خلفية ميوله السياسية اليسارية تأثر بالأدباء الروس تأثر بالمقامات التي علمته التلاعب بالألفاظ وقد شكل حبيبي نموذجا لمعاناة المثقف السايسي.

وأهم شئ في هذا الصدد هو استطاع أن يجعل من الضحك فلسفة مقاومة ومن النكتة منشورا سريا يتداوله الأطفال قبل الكبار وتلك مهمة شاقة لن يستطيع القيام بها إلا أديب ذو أصالة ذاتية، وموضوعية، وذو عبقرية متميزة في اصطياد الفرح من غابات الحزن المظلمة التي يتيه فيها الإنسان العربي عامة والإنسان الفلسطيني خاصة . ولايستخدم حبيبي السخرية من باب النقد والتقويم فقط بل بوصفها قناعا يحتمي به من وطأة التجربة المعاصرة التي حاقت بشعبه، ليقاوم ألامها وفواجعها، كان صوتا فريدا في استخدام الأساليب الهزيلية الساخرة في الرواية العربية المعاصرة.

كان جوهر رواية المتشائل هو وصول بطلها سعيد إلى حتمية صيغة الفداء و المقاومة المسلحة هو في الكتاب الأول باحث عن التكيف ملتمس للأمن والأمان مستعد لتقديم كل التنازلات التي تطلبها منه الدولة العنصرية

الباطشة إميل حبيبي يستعمل أسلوب الضحك لاستعادة هوية الفلسطيني من براثن الدولة المهيمنة، تحدي رواياته وتدفع جابنا الحقائق الظاهرة والمقبول للحصول على العناصر الحقيقية حقا من الطبيعة البشرية والمجتمع.

من خلال كتاباته هو يقول المظلوم هو قوي من الظالم في الواقع لو يعلم أهم شئ هو التحرر الذاتي والتغلب على الخوف وإزالة حجاب الجهل. وتدمير جدران الصمت هذا صدى لكل فلسطيني والعرب والإنسانية جميعا. هو يقول هذا يتم عن طريق العمل الجاد لابالتدخل الفضائي كما يجيب الرجل الفضائي غاضبا عندما يلجأ إليه لعله يشير إميل حبيبي إلى مفهوم هذه الإية: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

4. صورة المرأة المقاومة في رواية المتشائل:

عندما بدأت عمليات اجتثاث الوجود الفلسطيني من أرض فلسطين بالقتل والتهجير والتدمير من قبل الصهانية برعاية الولايات المتحدة، ابتدأت هناك مرحلة إثبات وجود المرأة الفلسطينية المقاومة بالحفاظ على هويتها وتمسكها بأرضها. هذه الدراسة ترسم صورة موضوعية لهذه المرأة التي لم يعرف العالم امرأة مثلها كابدت الكوارث والأحزان وفقدان الأب والزوج والأبناء ولكنها بقيت صامدة مرفوعة الجبين ومقاومة شجاعة شاركت في زراعة الأرض وجنى المحاصيل وخرجت إلى الشارع تندد بالمحتلين قتلة الأطفال كما كانت تقدم ما تملك من مال ومصاغ لشراء السلاح للمقاتلين وفتحت

بيتها للمقاومين تقدم لهم المأوي والطعام والعناية عندما كانوا يطاردون من قبل المحتل البريطاني وثم من المستوطن الصهيوني.

لقد صورت الرواية الفلسطينية حياة المرأة الفلسطينية وفق رؤية فنية واعية كانت المرأة الفلسطينية أمام خيار واحد: أن تكون أولا الحروب التي خاضها العرب كانت كارثية لأن ميزان القوى كان أضعاف القوى العربية المحرومة من السلاح الفعال إلى جانب الدعم المادي والمعنوي من الغرب الأوربي والأمريكي التي تلاقت مصالحه من مصالح الكيان الصهيوني الذي وقف حاجزا بين المشرق العربي والمغرب العربي وهو لا يريد للعرب أن تكون لهم دولة واحدة. دولة قوية مقاومة لأطماعهم ومتصدية لمصالحهم لقد قاومت المرأة الفلسطينية. مصادرها أرضها واعتقالها وتعذيبها وتدمير بيتها و ممارسة العنف والإرهاب مع أهلها وعائلتها توطئة لإخلاء ارض فلسطين من أصحابها وصولا إلى كيان عنصري نجد صورا وأصداءا لهذه السلوكيات والممارسات في رواية المتشاءل اختار إميل حبيبي النهج المقاوم في رواية المتشئل وهي كلمة مشتقة من كلمتي المتشاءم | المتفاؤل، في هذه الرواية قدم صورة المرأة الفلسطينية التي تزرع روح المقاومة وتحرير الأرض في نفس ولدها:

الابن: سئمت يا أمي حياة الخنوع للمحتل.

الأم: من يرفض الخنوع عليه تحمل ليله الطويل فالشمس قادمة من يطلبها.

الابن: أين أجد مكاني يا أمي.

الأم: تحت الشمس.

الابن: لا تكفي عن الحلم بالشمس والبحر.

الأم: لأن الشمس شمسنا والبحر بحرنا. ويجب البحث عنهما حتى نجدهما و نتمسك بهما. والحرية والانتماء والطريق إليها هو طريق الصمود ومقاومة المحتل هذا ما تريده الأم الفلسطينية من أولادها.

(5) نماذج للتثبت بالأرض

كما نعلم كانت المرأة الفلسطينية قد وقفت في وجه عدوها الطبقي منذما قبل عام 1948م، فإنها كذالك قد وقفت، وبصورة مشرفة في وجه عدوها القومى منذ نكبة 1948، إلى يومنا هذا، وقد قدم الروائيون الفلسطينيون صورا متعددة للمرأة. دورها في العمل النضالي، مواكبين بذالك حركة الواقع الاجتماعي والسياسي. نرى في زمن النكبة وما قبلها دورالمرأة يكاد ينحصر في إطار التعبئة والتعريض، إذا كانت تقف إلى جنب زوجها في أيام الشدة والمحن، توازرة و تربي إطفالها و تحافظ على تدخره، يكون عونا له ساعة الحاجة. إذا درس أحد رواية المتشائل بالتأني، وجد أن الحب الحميمي بالمكان والالتصاق بالأرض والدفاع عنها، وهاجس العودة والصمود في وجه العدوان أحرزت مكان الصدارة وفي الرواية نفسها يدفع الإصرار والصمود يعاد الأولى إلى العودة إلى الوطن متسللة، بعد أن انتزعت من بيت سعيد يخرجونها، والقيت خارج الحدود لكن أقامتها لم تكن لتتطول أيضا، إذ يكتشف جنود الاحتلال أمرها فيداهمون بيت حبيبها الذي

لجأت إليه ويخرجونها إلى الخارج بعد معركة حامية ظلوا يدفعونها إلى الدرج وهي تقاوم وتصرخ وتركل بقدميها وعضت كتف أحدهم وصاح من الألم وولي بعيدا، وهي تنادي بأعلى صوتها سعيد، يا سعيد، لا يهمك فإني عائدة![43]

ويتحقق وعد "يعاد" بالعودة،ولكن صمود العرب الداخل الذين ازدادوا وعيا ومعرفة، وأدركوا أن المقاومة بكل أشكالها المعرفية والقتالية هي السبيل الأنخع والوحيد لتحقيق أهدافهم المنشودة، وإذا ما اضطر أحدهم إلى مغادرة أرضه عنوة فإنه يرحل، وأمل كبير يحدوه بالعودة إلى الوطن، تقول يعاد الثانية لسعيد، الذي أظهر جزعه ، وخوفه من أن تغادره يعاد الصغيرة، كما غادرته أمها، منذ عشرين سنة....الماء لايترك البحر يا عماه يتبخر ثم يعود في الشتاء، ويعود أنهارا وجداول ولكنه يعود، فيه نداء عظيم بالعودة بعزم وقوة.

(6) نماذج لمقاومة الفتيات والأطفال لقوات الاحتلال في رواية المتشائل

مقاومة الفتيات والأطفال تدل على أهمية قصوى من النضال الوطني والتثبت بالأرض تتحدث المتشائل عن كثير من أبناء الأرض المحتلة من فتية وفتيات لم يخنعوا. تحملوا طول ليل، فحملوا الشمس فوق جباههم وتفانوا أنفسهم في سبيل مجد الأرض والحرية واسترداد الحقوق الفلسطينية.

[43]. حبيبي، أميل : الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل دار الجليل، دمشق، ط:3 / 1984 ص 108/ 109.

هؤلاء الاطفال الصغار الذين ولدتهم أمهاتهم في ظل الاحتلال، سيكونون أكثر استفزارا للسلطات ممن سبقهم، ذالك أنهم بدوؤا يعون، من خلال مراحل نموهم أن قدرهم هو أن يقاوموا الاحتلال، لافرق في ذالك بين الذكور والإناث لذلك لا تعدم وجود هذه الشخصيات المناضلة في رواية الأرض المحتلة.

(7) التزود بالعلم والمعرفة والوعي الثوري كما ورد في المتشائل

هذه حقيقة لايماري فيها عاقل بأن ظلم الصهاينية قد خلق التعبير الواسع هو الوعي والفكر والتجربة الحية، إضافة إلى الشجاعة والإرادة الحرة، والصمود والصبر والاستعداد للتضحية. وقد ركزت الرواية الفلسطينية على هذا الاتجاه كثيرا لأن الإنسان إذا لم يفهم واقعة، وينقذه، لايستطيع التوجه إلى الثورة عليه هذا الوعي، بطبيعة الاحتلال، وبطبعية القوى التي نواجهه، قادر على أن يوقف معظم أساليب التكيف كما أنه من ناحية أخرى، قادر على أن يجمع كل القوى التي تناضل ضد الاحتلال وأن يستفيد من أقصى طاقاتها وأن يصفها في الموقع الصحيح المؤثر. وبمثابة ذالك نرى في رواية المتشائل أن إميل حبيبي يقدم فيها بعض الشخصيات النسائية، ممن امتلكن المعرفة وتسلحن بالوعي الثوري من خلال الاستفادة من دروس الماضي وعبره ومن الاحتكاك المباشربالواقع المرير اليومي وتعد باقية خير مثال لهن، أذ نلمس وعيها المتطور من خلال حوارها الصريح مع زوجها الذي تشركه في سر الصندوق: فيقول: اصبحت أملي يا ابن عمي، وأنا أريد العودة إلى خرائب قريتي الطنطورة خلسة، أو تعود وحدك فتنتشل الصندوق

من مخبئه، فيغنينا عما أنت فيه، وأنا لا أريد لأولادي أن يولدوا محدوبين، لقد تعودت ألا أتنفس إلا بحرية يا ابن عمي[44].

وحين يعجز زوجها سعيد عن انتشال الكنز تخبر وحيدها "ولاء" بسره، وتحمله أملها وتغذيه بأفكارها الثورية التي تتناقض مع أفكار أبيه ويشب "ولاء" ويحقق أمل أمه وحلمها. ويشكل خلية فدائية سرية، مع اثنين من زملاءه، وينتشلون " من كهف في غور صخري في بحر الطنطورة المهجورة، صندوقا فيه سلاح وفيه ذهب كثير[45].

ويتمرد "ولاء" على الدولة الجديدة ويؤكد ولاءه لقضيته ولشعبه ولثورته، وليس للدولة العبرية كما أراد والده حين سماه....

وتلحق باقية ولدها الذي ثار على سلطات الاحتلال، محاولة إقناعه حمايته بحبها من ناحية، وبالوعي الذي كانت تحاول أن تنقله إليه من ناحية أخرى، حتى يتحول التمرد العفوي، إلى المقاومة الحقيقة وهنا يأتي ذالك الحوار الحار والمتدفق بين الأم الثورية وابنها المتحمس، لندرك من خلاله، موقف كل منهما مما يجري، تقول باقية لو كنا أحرارا يا ولدي ما اختلفنا، لا أنت تحمل سلاحا ولاأنا أدعوك إلى احتراس. إنما نحن نسعي في سبيل الحرية... مثلما تسعي الطبيعة في سبيل حريتها، فالفجر لا يطلع من ليله إلا بعد أن

---

[44]. المتشاءل: 132 - 133.

[45]. السابق : 146 - 147.

يكتمل ليلة، والزنبقة لا تبرعم إلا بعد أن تنضج بصلتها، الطبيعة تكره الإجهاض يا ولدي.

والناس لا يتحملون ما أنت مقدم عليه.

سأتحمل عنهم حتى يتحملوا عن أنفسهم

ولدي، ولدي،

سئمت خنوعكم...

لدينا فتية وفتيات لم يخنعوا فاحدُ حدوهم ! تحملو أطول ليل، فحملوا الشمس فوق جباههم، ما استطاعوا إخراجهم من أرض إلا إلى زنزانة. وهنا هدموا عليهم بيتا إلا بعد أن هدموا عليهم أسطورة....

أين مكاني تحت الشمس؟

تحت الشمس.

أتظلين تحلمين بالجزر السبع وراء البيوت السبع؟

إنها جزرنا وبحارنا، والسندباد، يا ولاء، كف عن رحلاته، وصار يبحث عن الكنوز في تراب أرضه.

حياته على أرضه لاتطاق.

حين تصبح الحياة أرخص من الموت، يصبح ما أصعب من بذلها أن نعض عليها بالنواجذ[46].

يمكن أن نقول بهذا الحوار الحميمي الحار، والمقنع البديع ، يتضح الموقف الثوري لباقية و بصقاء رؤيتها، وجلاء موقفها المناهض للخنوع والاستسلام الداعي للعمل الثوري والجماعي والواعي المنظم والهادف وهكذا تجسد "باقية" في موقفها من ولدها، وتوحدها معه، والوعي الثوري الحقيقي، في أبهى تجلياته، ويؤكد انتماءها للأرض وللقضية من خلال صمودها وبقاءها معروفة في تراب أرضها، وإصرارها على انتشال الكنز، وتحقيق أملها الذي زرعته ونمته في ابنها.

[46]. المتشاءل: 151 - 152.

دراسة الجوانب المثيرة في رواية سداسية الأيام الستة و إخطية

(1) صورة المرأة المقاومة في رواية سداسية الأيام الستة وإخطية"

عندما نقرأ رواية سداسية الأيام الستة للأديب إميل حبيبي تطالعنا في اللوحة الثالثة من هذه الرواية شخصية " أم الروبابيكا" التي ترفض النزوح مع زوجها و أولادها وتبقى مصرة على البقاء متعللة بالعناية بأمها المعقدة وعندما تتوفى أمها لا تلحق بزوجها بل تبقى متجذرة بأرضها وتساهم برعاية المعتقلين في السجون الصهيونية كما تعتني بالحفاظ على كتب التراث العربية وكانت تقول للجميع : نستطيع مواجهة الصهاينة بالتمسك بأرضنا وارتباطنا بتاريخنا وتراثنا العربي فنحن لسنا وحدنا"

كذالك نجد في اللوحة الرابعة من السداسية صورة مليئة بالإيحاءات والدلالات الأمهات يشاركن أبناءهن في مسيرات المقاومة ويصطدمن مع جنود الاحتلال وفي إحدى المسيرات المنطلقة من ساحة المسجد الأقصى يحاول جنود الاحتلال منع تقدمها ويشتبكون مع شاب فلسطيني بالضرب والرفس بأحذيتهم فتصرخ أمه: "ولدي....ولدي" فيقترب منها الجنود ليقبضوا عليها فيعلو هتاف جميع الأمهات المشاركات في المسيرة ولدي ولدي. فيختارالجنود من هي أم الشباب حتى يقبضوا عليها ويجرجروها ويصابون بالإحباط والخزي أمام وقفة التضامن والمقاومة الباسلة فأسحله جنود الاحتلال لم تعد تخيف المرأة الفلسطينية.

وفي اللوحة الخامسة من هذه السداسية صورة أخرى من صور مقاومة المرأة. الفلسطينية لاحتلال الصهيوني فنحن أمام فتات هربت من القتل ولكن أمها العجوز بقيت متمسكة بمنزلها والذين هاجروا ينبغي أن يعودوا فالأرض تناديهم والعصافير ما زالت تطل من النوافذ تسأل عليهم والأم ما زالت تنتظر عودتهم ومازالت تحتفظ بخرزة زرقاء لابنتها أما لحفيدتها فقد احتفظت لها بثياب أمها وتطلب الأم من ابنتها أن تعود مع عائلتها ووطنها هو فلسطين ولاينبغي أن تترك الأرض لأغراب الأعداء.

وفي رواية "إخطية" بطلة الرواية إخطية يقدمها لنا الروائي إميل حبيبي كشخصية مقاومة للصهاينة كي يرحل الفلسطينيون وتخلوا الأرض لهم ولكن إخطية تتمسك هي وأخوها بقطعة أرضهما الصغيرة في حين يرحل سكان الحي تاركين أرضهم وبيوتهم للمحتل الغاصب.

في هذه الصور الرائعة للمرأة الفلسطينية التي أدركت بغية العدو المحتل من ممارسات القتل ضد شعب فلسطين ليهجره نجد صبرها على جرائمه فهو وإن قتل لن يستطيع قتل الجميع والذي سيبقى سيكون شوكة تنزف في حلقه لذلك عرفت المرأة الفلسطينية أن السبيل هو المقاومة والثبات.

(2) صورة الام الشاملة في السداسية

علاقة الأم ليست منحصرة في أبناءها فحسب بل أمومتها تشتمل على شباب الوطن الواعدين، فهي تعطيهم الحب والحنان والعطف والرعاية والحماية، وتحظي منهم الاحترام والتقدير والمحبة، يقدم إميل حبيبي في

لوحة أم الروبابيكا " في هذه الرواية نموذجا لأمم التي لاتتوقف عند حدود الخاص بل تظل محافظة على العام الذي تجسده[47].

فهي لا تكتفي العناية بأبناءها فحسب نراها تعتني بأبناء الوطن جميعهم، تقف إلى جانبهم ساعة الشدة فتوكل لمن سجن معهم محاميا، وتزوره في السجن، وتحمل إليه السجائر، وتغسل قمصانه على هذا النحو كانت العلاقة بين الأم الفلسطينية وأبناء الوطن، نابضة بالحب و المودة والاحترام والصدق الإنساني، فمع الأم الفلسطينية و تحت أجنحتها الملائكية يتحول أبناء الوطن إلى أسرة متماسكة، تنشد هدفا ساميا هو تحرير الإرض من مغتصبها.

هكذا قدم أميل حبيبي في روايته صورة حقيقية للأم الفلسطينية الصابرة المضحية المحبة للحياة والأرض والعمل بأمانة ودقة.

(3) نماذج للتثبت بالأرض

إن إميل حبيبي الذي عايش مأساة شعبه من بداياتها، وشهد الاحتلاليين الأول والثاني. وأدرك سياسة العدو التي تقوم على العنف والتوسع، قد قدم عرضا تفصيليا لهذا الواقع، فكانت أعماله تسجيلا متفاعلا واعيا، ليس لزحف الطوفان المدمر، وإنما للتصدي له بالحيلة العنف والفكر والفن إذ تصور أعماله الروائية فيقدم صورا متنوعة لصمود المرأة ومقاومتها كل أنواع القهر والإرهاب التي مارستها الصهيونية، في

[47]. بسيسو عبدالرحمن: استلهام الينبوع، مؤسسة سنابل / ط/ 1/ 1983/ 241.

اللوحة الثالثة من سداسية الأيام الستة " نقع على شخصية أم الروبابيكا الملقبة بـ ملكة الوادي، أصرت على البقاء مع والدتها المقعدة حين نزح زوجها وأخذ أولادهما في سفر الخروج الأول 1948، وحين توفيت والدتها بعد خمس سنين من ذالك رفض زوجها التعرف عليها وأظهر عدم رغبته في عودتها إليه. كما أكدت هي أيضا عدم رغبتها في هجر بيتها، وكان أصرارها على البقاء يبرر بسؤال كبير لمن يسئلها: لماذا كان من المعقول بقاؤكم أنتم أنفسكم؟

لقد بقيت لتجمع الذكريات التي تركها أهلها ورحلوا. تبيع ما سحبت يداها من أمتعة، وتبقى مع الكنوز، بانتظار عودة أصحابها إليها. أما كنوزها فتتكون من كتب الفرابي، ومن رسائل الأبناء والمحبين إلى ذويهم وأحبابهم[48].

لقد حافظت أم الروبابيكا على كنوزها، مئومنة بعودة أصحاب إليها، رافضة الهجرة ملتصقة بتراب واديها مشيرة بذالك إلى أن إثبات الذات القومية الغربية في مواجهة الغزوة الصهيونية يتطلب تثبتا بالجذور وارتباطا بالماضي العربي في وجهه المجيد، تاريخا وتراثا[49].

وفي اللوحة الخامسة من السداسية نتجه إلى صورة آخرى من صور الصمود والتثبت بالأرض، أو تحكي اللوحة عن فتاة من الجليل، غادرت

[48]. أبوبكر- وليد: الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة ص 82.

[49]. بسيسو، عبدالرحمن: استلهام الينبوع 240.

الأرض المحتلة عام 1948، إلى لبنان مع زوجها وأولادها، وعادت بعد عشرين سنة إلى أرضها لتصريح زيادة لمدة أسبوعين، لتزور أمها العجوز المقعدة، التي رفضت الهجرة وبقيت في رفضها محتفظة لابنتها بالخرزة الزرقاء ولحفيدتها بثياب ابنتها وكأنها بذالك تحتفظ بذكريات الماضي الجليل، وبالأمل في أن يعود الغائبون إلى أرضهم وطنهم.

وفي رواية "إخطية" نجد نموذجا أكثر غني وعمقا للمرأة الفلسطينية الصامدة في الأراضي المحتلة ، وقد تجلي صمودها في المحافظة على المكان وعدم الاندماج مع واقع الاحتلال، فجاءت شخصية إخطية أكثر تطورا من شخصية أم الروبابيكا ففي الوقت الذي هجر فيه سكان شارع عباس منازلهم ، بقيت إخطية مع أخيها عبدالرحمن، وهو يمثل الجزء الواعي من شعب فلسطين، الذي أصر على البقاء في أرضه كما أصرت هي بانتظار الصحوة التي يتم خلالها اكتشاف وجوده، وهوهذا الجزء الذي تشبع بروح الثورة.

(4) نماذج لمقاومة الفتيات والأطفال لقوات الاحتلال في رواية السداسية

تتجلى أصداء مقاومة الفتيات والأطفال أمام العدو الغاشم في هذه الرواية إذ نرى أن العدو هو يطرد فتاة في الثانوية من مدرستها، لأنها شاركت في مسيرة الأربعاء العظيمة كما يقوم باعتقال خطيبها لاشتراكه معها في المسيرة نفسها، إذ حملا إكليلا من الزهر، وكان خطيبها قد تعرف عليها

في مظاهرة سابقة قامت في بلده، والفتاة أمام باب السجن تنتظر خطيبها المعتقل. هؤلاء الأطفال الصغار لافرق بين الذكور والإناث كلهم يقاومون الأعداء بعزم وقوة، ولايبالون عن حياتهم في سبيل استرداد مجد الوطن ودفاعه.

(5) تصوير التضامن والتوحد في وجه المحن

التضامن والتوحد كلاهما سلاحان أساسيان للصمود والمقاومة. ولم يقتصر دور الأمهات في ملحمة المقاومة فقدكن، في كثير من الأحيان، يشاركن أولادهن في المسيرات والمظاهرات، ويصطدمن مع جنود الاحتلال، ويشتبكن معهم بالأيدي ويبادلنهم الشتائم والسباب والضرب وسوى ذالك وكثيرا ما كان التضامن يظهر فيما بينهن ولاسيما في مثل تلك الأوقات العصيبة. ففي اللوحة الرابعة من السداسية وتحت عنوان كيف أصبح لشاب واحد ألف أم ؟ يعرض إميل حبيبي صورة مكثفة مليئة بالمعاني والإيحاءات والدلالات.

لما بدأت تتجه المسيرة نحو المقبرة اليوسفية لوضع الزهور على القبور فتتحرش بها قوات الاحتلال ويقبض أحد الجنود على أحد شاب فلسطيني فتراه أمه العجوز فتصرخ ولدي! فينقض الهتاف من جانب ولدي حتى لم يعرفوا أيهن أمه..... كلهن أمه وتستمر المسيرة نحو المقبرة لوضع الزهور.

(6) المقاومة المنظمة

لا يخلو أي نضال من المقاومة المنظمة، والمقاومة المنظمة لها دور ملموس ولها نشاط كبير في الأرض المحتلة وقد قدمت الرواية الفلسطينة صورا متعددة لتلك المهمات الجليلة، والنشاطات السردية التي قامت بها المرأة، فصورتها وقد انخرطت في صفوف الثورة ، فدائية منظمة مناضلة سياسية وقيادية بارعة، فاثبتت جدارتها وكفاءتها العالية في تحمل مسؤلية الكفاح المقدس.

ففي اللوحة "الحب في قلبي" من سداسية الأيام الستة، يقدم إميل حبيبي صورا عابرة ومعبرة لفتيات مقدسات، كن يقمن بتهريب السلاح والتستر عليه.

وفي جانب آخر نجدهن اعتقلن بتهمة تهريب السلاح أو الستر عليه وذقن لوعة الجوع إلى الحرية والكرامة الإنسانية، إلى الطمانية والأصدقاء والشمس والعطف، وعشن القلق الممض على الأهل ، والخوف عليهم من العاقبة الوخيمة.

هذه المواقف البطولية المشرفة التي أبدتها المرأة تجاه قضيتها من صمود ومقاومة وتعرض للاعتقال والسجن والتعذيب أسهمت كثيرا في تبوئها مقاومة متميزا في مقاومة الاحتلال جعلت اولئك المترددين من المثقفين اليسارين الذين يؤمنون بالحل المرحلي للقضية يشعرون بصغرهم أمام عظيم تضحياتها.

وفـي روايـة إخطيـة نجـد التعبيـر الـذي يخـرج مـن الأسـلوب الريفـي للمـرأة الريفية وهي تحمل معها مسئولية هائلة الرحمة الإنسانية التي تضعف في مواجهة كارثية وكثيرا ما يثير فيها هو محاولة تهويد الأماكن، سيادة اللغة العبريـة، وهيمنتهـا السياسـية، مـثلا الرامـزور مـزج كلمتـين عبـرتين، مـع تصـحيفهما وهمـا "رام" ومعنـاه العـالي، المرتفـع، الصـارخ، و "زركـور" ومعناها الكشـاف الضـوئي، علـى شـاكلتها جـاءت كلمـة "رام كـول" العبريـة وترجمتها الصوت العالي، وهي الميكروفون واليهود مولعون بهذا المزج والتصحيف والاختصار،وفي أسماء الشوراع نجد الصهيونية بدلا من الأمم المتحدة، هذه محاولة تهويدها. أميل حبيبي يكشف الستار عن هذه السياسية الزائفة بمظاهر لغوية سخيفة.

(7) في السجن

السجن هو امتداد لنضال المرأة الوطني، ومقياس حقيقي لمدى صلاتها وصمودها وقدرتها على التحمل من جهة، ومن جهة آخر فإنه يفضح الممارسات الإرهابية التي تقوم بها سلطات الاحتلال تجاه المعتقلين و المعتقلات، في اللوحة السادسة من سداسية الأيام الستة، يطلعنا إميل حبيبي على رسائل فتاة مقدسية، في الثامنة عشر من عمرها كتبتها في السجن إلى والدتها تكشف رسائل الفتاة عن رغبة طاغية في الحياة وتفصح عن العلاقات الحميمة التي تفجر بين أبناء الشعب الواحد، تحت سقف السجن. فالعلاقة التي تنمو بين الفتاة المقدسية والفتاة الحيفاوية في ظل هذه الشروط وتساهم عتمة الجدران في نسجها، وربط وشائجها. هي الصورة المكثفة

لذالك النسيج الهائل من الوحدة الحميمة التي تتنامى، وتتكرس في حالة الحصار التي يمثلها الاحتلال ... تقول الرسالة: فنحن نقضي الوقت في الفناء وفي سرد النكت والأحاديث الحلوة، وكثيرا ما أنظم الشعر. وصديقة أخرى تقول: ما أحلى هواء السجن، سجن الرملة، ليس مثل هواء نتانيا فلا تقلقوا[50].

يحق لنا القول أن السجن عبر هذه الرسائل أصبح بفضل عزم المناضلات، مصدرا للألفة الراسخة بين المعتقلات.

وبالجملة نستنتج عما سبق من البيان أن علاقة المرأة بالوطن ونضالها داخل الأرض المحتلة، تبين لنا الدور الهام الذي لعبته في النضال ضدالعدو القومى الطبقى، وقد انحصر نضالها بداية في نطاق التعبئة والتحريض والتوجيه، وزرع بذور النضال في وجدان الأبناء وتنامي فيما بعد مع تنامي حركة الواقع الاجتماعي والسياسي. ولاسيما بعد حزيران 1967، إذ تطورت أشكال علاقة المرأة بالوطن، وأساليب دفاعها عنها، بدأ من الإصرار على البقاء والصمود والتثبث بالأرض، وعدم الاندماج مع واقع الاحتلال، واللجوء إلى التكاثر لحماية العنصر الفلسطيني من التلاشي في ظل الممارسات القمعية والإرهابية لسلطات الاحتلال، والتضامن مع أبناء الوطن كافة، وجدانا وعمليا، وانتهاء الممارسة المرأة النشاط السياسي

[50]. سداسية الأيام الستة: 47.

والعسكري والسري المنظم. والتعرض للاعتقال والتعذيب، والصمود في وجه جلادي المعتقلات، وعدم الانهيار تحت وطأة تعذيبهم وبطشهم.

أما نضال المرأة الفلسطينية خارج الوطن المحتل يبين لنا الدور الهام الذي لعبته الأمهات في الشتات، وقد تجسد في صمودهن أمام وطأة الظروف الحياتية والسياسية، إذ يشاركن الرجل في حمل أعباء الأسرة، ودفع الأبناء للعمل الثوري، تجازت المرأة دورها الأمومي. وأصبحت تمارس العمل والإعلامي والعسكري وكان لها دور هام في فضح الفساد، ورفض كل أشكال الزيف، حتى إذا ما اشتغل القتال وجدناها مقاتلة جزئية وفاعلة، تحمل السلاح وتشارك أيضا في الأعمال التمريضية.

(8) المرأة والرمز

إن من يتأمل هذا النوع من النثر وجد فيه توجيها جديدا رائعا، له دور هام وأقوى في التعبير عن النفس، لذا اختار بعض الروائيين الفلسطين هذا الأسلوب الرمزي ولم يكن ذالك بعدم قدرة اللغة على التعبير عما في نفوسهم، أو هربا من الواقع إلى شئ غيبي ملئ بالأوهام والأحلام، ولكن إنهم عالجوا موضوعات واقعية حساسة، لم يكن لديهم الإمكان للتعبير عنها بوضوح ومباشرة، إما لأن هذه الموضوعات تتعرض للعقائد أو لأنها تتناول أوضاع سياسية قائمة، لايمكنهم معالجتها بوضوح... أحيانا كانت وطأة الموضوع ثقيلة على النفس الإنسانية مما جعل إلى اللجوء إلى الرمز أقوى في التعبير عما ما تكن النفس من آلام وأحزان مصدرهما هذا الواقع

ومأساته، لقد انتقلوا من الرمزية الأسلوبية إلى الرمزية الموضوعية الواقعية بغرض الوصول إلى الأفضل[51].

ونظرا لأهمية هذه الواقعية النضالية الملتزمة التي تميز الرواية الفلسطينية عن سواها، لأنها تتصف بالجماهير الشعبية على المستوين الفلسطينية والعربية تخاطب عقولهم ووجدانهم، بقصد التوعية والتوجيه والتحريض للنهوض، وتجاوز كل ما هو سلبي في الواقع كما أننا نعلم إن هؤلاء الكتاب لم يتجهوا إلى الرمز الفنى الذي يقود إلى الإبهام والغموض بل لجؤا إلى استعمال الرمز الشفاف، القريب من الفهم والإدراك، الذي يثري المعنى ويزيده وضوحا.

ومن دون شك، من أبرز هؤلاء الكتاب الذين استعملوا الرمز في أعمالهم الروائية هو إميل حبيبي، نجد متعدد الشخصيات النسائية الرامزة في رواياته. سواء ينحصر الرمز في أسماء فقط أو تعداها ليستوعب الشخصية كلها.

هذه حقيقة إذ للرمز فضله في الحياة العامة، فإن من الطبيعيى أن يلجأ إليه الأدب حين يكتب في ظل الاحتلال، والآن نريد أن نوضح مواقع أسلوب الرمز في الأعمال الروائية لإميل حبيبي.

ففي اللوحو الثالثة من السداسية نلتقي بشخصية أم الروبابيكا التي يمكن قرارتها على المستوين الواقعي والرمزي وجل مانفهم أن هي أم واقعية

[51]. أبو مسطر- د. أحمد: الرواية في الأدب العربي ص 298.

لأنها ترتبط بعلاقات محددة بطبيعة مهمتها في المجتمع وهي أم رمزية لأن الكاتب يمزج في صياغتها بين الواقع والرمز ويجعل العلاقة بينهما تبادلية فيصبح الرمز واقعيا والواقع رمزا[52].

كانت أم الروبابيكا " قبل نكسة حزيران 1967 وطوال عشرين عاما أعقبت النكبة رمزا لصمود الإنسان الفلسطيني على أرضه وتعلقه الصميمي بجذوره، وهويته وتاريخه العريق، كما كانت رمزا للأمم الفلسطينية المناضلة التي تحتضن أبناء فلسطين الأوفياء الذين عشقوا فلسطين، ووهبوها، ويهبوهنا- أعز ما يملكون عن طيب خاطر. وهي الام الواقعية التي تقدم لابنها ما قدمته لأبناءها من قبل، فقد أوفقت له محاميا، وراحت تزوره.... ولا تتوقف الأم عند حدود الخاص " بل تظل محافظة على العام الذي تجسده، فمع توحد فلسطين، تكاثرت هموم الأم وشواغلها وتكاثرت هموم فلسطين الأم " وهموم أبناءها الذين عادوا كالأشباح الهائمة بحثا عن أمهم "عن ماضيهم : ذكرياتهم ، بيوتهم ، كنوزهم التي تركوها.

وعندما تتوحد فلسطين بشطريها تحت الاحتلال، بعد عام 1967، تلتقي أم الروبابيكا بأبناء فلسطين، بهؤلاء الأشباح الهائمة، الذين أتوا لزيارة أرضهم وبيوتهم وهم (يتطلعون نحو الشرفات والنوافذ في صمت، وبعضهم بطرق

[52]. بسيسو، عبد الرحمن، استلهام الينبوع ص: 239.

الأبـواب ويسـأل فـي أدب أن يـدخل ليلقـى نظـرة، ويشـرب جرعـة مـاء، ثـم يمضي في صمت فقط كان هذا بيته)[53]

وهكذا يندمج الخاص بالعام، فتصبح "أم الروبابيكا" أم لكل عشاق فلسطين، بـل تصـبح فلسـطين ذاتهـا فهـا هـي توحـدت مـع عشـاقها، وهـا هـي تطـالبهم بتخليصـها مـن الأسـر، وهـا هـي تـزودهم بكـل مـا يلـزمهم فـي رحلـة تجـاوز العجز والهزيمة في رحلة أثبات الذات[54].

ويعطـي إميـل حبيبـي فـي مجمـل رواياتـه شخصـياته النسـائية أسـماء ذات دلالات رمزيـة تنسـجم مـع طبيعـتهن الشخصـية ومـوافقهن، ودورهـن علـى الصـعيدين الـوطني والقـومي وأننـا تقـف فـي روايـة " إخطيـة" علـى بعـض الأسماء التي تحمل دلالات ثرية، منها "سروة" (بما يوحيه اسم الشـجرة مـن تعال ، وخضرة دائمة، وقوة على البقاء وإخطيـة" بمفاهيمـه الشـعبية والدينيـة حول الخطيئـة والحـرام، وإن كانـت دلالات الشخصـية تأخـذ أبعـادا أوسـع فـي الروايـة[55]، وهـذا مـا جعـل شخصـية إخطيـة (تبـدو محيـرة فـي البدايـة، ولكـن الروايـة تقـدم لهـا مجموعـة مـن المفـاتيح التـي تسـتطيع أن تقـدمها متكاملـة، بالتدريج، وتستطيع بالتالي أن تكشف دلالاتها)

فهي ابنه إحدى العائلات العريقة في حيفـا، عائلـة عبـدالكريم، العائلـة الوحيـدة التـي نجـت مـن مذبحـه حيفـا القديمـة ، فعمـرت حيفـا. وهـي عائلـة تنتمـي إلـى

[53]. سداسية الأيام الستة: 242.

[54]. بسيسو، عبد الرحمن، استلهام الينبوع ص: 242.

[55]. أبوبكر وليد، الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة ص: 127.

الطبقة الكادحة الأصلية، كانت جرئية في التعبير عن أفكارهما ومواقفها، تمتلك القدرة على الفعل والتأثير على الآخرين[56].

وكانت إخطية الفتاة المدللة التي يحبها الجميع، (فمن لايتذكر إخطية، ولم يعشقها حتى التلف؟.. كانت إخطية في العاشرة من عمرها حين قفزت من شرفة بيتها، أو وقعت من الشرفة فوق صخرة من صخور الدرجات الصخرية.... اختفت حوالي السنة وفجأة عادت وظهرت وهي تحمل طفلة بين يديها وسحابة من حزن عينيها[57].

إخطية هي أحد معالم حيفا البارزة، بل هي حيفا وأهلها، وهي فلسطين ذالك الجسد الممزق المغتصب الذي التقاه عبدالكريم، شقيق إخطية "عام 1985 بعد غياب نصف قرن كما التقى إخطية التي كانت وقعتها أو قفزتها عام 1935.

ولاتلبث الرواية أن تكشف في نهايتها أن إخطية تمثل ذالك الجزء الواعي من الشعب الفلسطيني الذي بقى على أرضه وصمد في وجه الاحتلالين الأول والثاني، وقد امتلك الأرادة القوية، الفكر المتضح، والوعي الثوري، ولذا استطاع أن يواجه شتى أساليب الأضطهاد والقمع والتمييز، وبقي متثبتا بجذوره، وبأرضه وعروبته، وهويته الوطنية أن أميل حبيبي قد قدم في روايته المدهشة "إخطية " الشخصية التي لا يمكن قراءتها إلاعلى المستوى

---

[56]. انظر: حبيبي إميل، إخطية، مجلة الكرمل العدد/ 15/ عام 1985 ينوقوسيا، قبر ص 48. ، د.حسان رشاد الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية ص 243

[57]. انظر: حبيبي إميل، إخطية، مجلة الكرمل العدد/ 15/ عام 1985 ينوقوسيا، قبر ص 41-53

الرمزي المتعدد الدلالات، رأينا كيف وحد بين المرأة والأرض بين الأم وفلسطين، وفلسطين الأم ، فإذا كانت الأم، أم سعد، أم حسن، أم الروبابيكا" هي دائما ضحية معذبة، لم تعرف الفرح فكذالك الأرض الفلسطينية لم تعرف الفرح منذ غادرها عشاقها، فالأم الفلسطينية تعاني، والأرض تعاني، وتوحد المعاناة بين الأم والأرض.

لدى الوقوف على المرأة والرمز، وجدنا أن الروائيين الفلسطيين لم يعمدوا إلى استعمال الرمز الفني الكلي والجزئي والمبهم والغامض، لأن ذالك يتنافى مع الدور النضالي للرواية الفلسطينية وكان الرمز عندهم أداة تعبيرية يلجأون إليه حين تدفعهم الضرورة الفكرية أو الفنية إلى ذالك، إذ يعذو الرمز حينئذ أقدر على الإيحاء والتعبير وإيصال الفكرة إلى الملتقى بفضل ما ينطوي عليه من ثراء وخصوبة.

الفصل الثالث

دراسة الجوانب الفنية في روايات إميل حبيبي

كما مر بنا القول أن أميل حبيبي هو من دون شك أبرز أدباء فلسطين فوق أنه أحد كبار الكتاب العربية ومن أكثرهم فرادة أسلوب ومزاج وذوق، أنه عرف بابتداع فن السخرية، خاصابه، فهو أسلوب قائم على المفارقة والمقابلة بين ما هو مأساوى وما هو باعث على السخرية وهذه الفضلية تميزه عن الأدباء الآخرين فهو يتعاطى الكتابة من منظور الأديب المنتمى، إذ يتخذها وسيلة من وسائل مجابهة الواقع الأليم الذي يرزح تحته شعبه الفلسطيني في ظل سطوة الاحتلال، وهو صاحب نظرية روائية جديدة تقوم على ركائز معينة من أهمها: البناء النصي المختلف التي تتماهى فيه أشكال كتابية تقليدية في آخرى معاصرة، وتناص فيه مع رواية التاريخ والجغرافيا والتراث، وتتداخل فيه الأزمنة والأمكنة وتتشعب فيه الحكاية وهو لذالك نرى كله نصا هجينا لم يستطيع أن يقلده أحد.

والأيدولوجيا[58] حضور قوي في كتاباته، فنصوصه مؤدلجة بامتياز بحكم فكره العلماني والتزامه الأدبي بقضية وطنه التي لم يبرح فيها والدفاع عنها طول حياته. كتاباته باللغة الهجينة، هي تمثل ظاهرة أسلوبية آخرى تمتاز بها سردياته.

[58]. حول مفهم الأيدولوجيا وأنماطها في الكتابة الروائية العربية، انظر لحميد الحمداني: النقد الروائي والإيدولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الروائي س 148 - 30.

فهو عادة ما يحرص على الجمع وكتاباته الأدبية بين التعبير باللغة الفصيحة واللغة العامية[59] والعامية المفصحة "وهي استعمال اللغة العامية الدارجة في الكتابة الإبداعية في مستوى الفصيحة وفي عروضها" في ظل حضور لافت لتقنية التفاعل النصي التي عمقت دلالات النص وأضفت عليه جمالا ورونقا، ويقصد بها[60] العلاقات التي تقوم بين نص ووحدات نصية سابقه عليه أو معاصرة له ، والتي رأي رولان بارت أنها قدر كل نص مهما كان جنبه ومهما حاول مبدعه الإيحاء بانجازه كتابه " ليس لها أية علاقات نسب مع ما أنجزه سبقوه أو معاصروه".

كما نجد من خلال رواياته إنه يحرص أيضا على توظيف تقنيات أخرى، مثل الرمز والأسطورة والتذكر، والاسترجاع او تيار الوعي، فضلا عن توظيفه لأهم مكونات التراث الشعبي الفلسطيني مثل الحكاية الشعبية، والمثل الشعبي والأسطورة الشعبية، والأغنية الشعبية واستعمالها في مجال الكتابة الأدبية يمثل تحولا كبيرا في بنية السرد العربي إذ الهدف منها تجاوز الأشكال الجاهزة والعدول عن اللغة النمطية والاهتمام بالأدب الشعبي والحياة البدائية،وكل ما يسهم في إثارة الإحساس بالجمال الطبيعي والبساطة.

ويجد الباحث لهذه الرسالة في نصوص حبيبي ظاهرة أسلوبية لها حضور مغاير مما لدي غيره من الروائيين العرب، إذ تملك على اصطياد الفرح من

[59] . The Arabic Novel: Bibilography and critical introduction by Hamdi Sakkut: 85

[60]. نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ص : 198 - 199.

غابات الحزن في أسلوب السخرية. وتتداخل اللغة العامية والعامية المفصحة في متونه مع اللغة الفصيحة في نسيج لغوى واحد على نحو يتجلى فيه وعى الكاتب بماهية اللغة فكانت الدلالية، كما تتجلى فيه ثقافته العالية مخزون ذاكرته الكافح بوقائع التاريخ الفلسطيني القديم والمعاصر، وقدرته على التعبير عن فكره الأدبي ومنظوره الروائي في مسعى منه كما يبدو إلى إعادة صياغة الهوية التاريخية واللغوية والحضارية لوطنه فلسطين وللإنسان الفلسطيني، على اعتبار أن ظاهرة الهوية في عمومها يمكن أن نفهم باعتبارها ظاهرة لغوية، وفوق هذا، يشير جزء أساسي متوتر من البحث في مجالات متعددة لعلم اللغة الاجتماعي، وعلم النفس الاجتماعي واللغوي، إلى الأهمية المركزية للارتباط الحاصل بين اللغة والهوية. إنه تعاطى اللغة معبرا عن مأساة الشعب الفلسطيني في صورة فريدة بين الواقع والمتخيل والماضي والحاضر، والذاتي والموضوعي وبذالك يطمح إلى رؤيته المستقبل والغد الموعود[61].

يجدر بنا أن نهتم بذكر أساليب الروائية المختلفة في هذا الصدد كي يكون الكلام عن دراسة الجوانب الفنية واضحا وكاملا.

[61]. جون جوزيف: اللغة والهوية، قومية، اثنية دينية، ترجمة عبدالنور خرافي ص 32. و مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلة التاسع عشر، العدد الأول من 1057 - 1117 يناير 2011.

دراسة الجوانب الفنية في رواية المتشائل

أولا: نقف عند بيان الجوانب الفنية لرواية المتشائل، إن اللغة في رواية المتشائل بسيطة وملائمة للملهاة ولأقوال بطل القصة الساذج، وكثيرا ما يضمن حبيبي كلمات وعبارات وأمثلة شعبية فلسطينة كما يستعين برواية الأشعار واصطناع المفارقات في الموافق،والتهكم والاستهزاء واللعب بالكلمات ليقدم لنا شكلا جديدا وهجينا يغنى تجربة الشكل في الرواية العربية وهكذا يذكرنا لبعض الاستثناءات الكبرى في الأدب العربي كما فعل إبراهيم عبدالقادر المازني وتوفيق الحكيم، وإميل حبيبي في هذه الرواية لقد استفاد من الآداب الأجنبية فاهتدى إلى المزج بين الشكل الروائي الأوربي وأساليب سردية متعددة.

أما بالنسبة لأسلوب الكاتب فإنه أسلوب بين الايجاز والبلاغة، وكثرة الايحاءات دون أن يقع في شرك البلاغة، وهو لايلجأ إلى النبرة الحادة في التنديد بالاحتلال أو تمجيد المقاومة، لكنه يتمكن أن يحقق ذالك عن طريق الظرف والتهكم والسخرية المعرفة بالسذاجة كما قلنا سابقا، ولنأخذ مثالا عن ذالك قصة الإرهاب الهمجي الذي يصف بها سعيد أبوالنحس" مجموعة الحراس الإسرائليين الذين تحلقوا حوله يسومونه شتى أنواع التعذيب.

فيقول: رأيتني واقفا في وسط حلقة من السجانين العراض الطوال كل سجان بعينين ناعستين اثنتين، وبساعدين مشمرتين، و بفخذين غليظين اثنين، وبفهم واحد مفتر عن ابتسامة كشراء كأنما صبت جميعا في قالب واحد من

خلال هذا التهكم الخفيف الظل ومن خلال استهزاءه المضحك ومن الجدير بالذكر اختارت جريدة الغاردين البريطانية هذه الرواية المتشائل من بين أهم عشرة كتب عبرت عن العالم العربي سواء من تلك التي كتبها كتاب عرب أو كتاب أجانب وكانت هذه الكتب الوسيلة الأفضل للتعبير عن عمق الحياة الحضارية العربية بعيدا عن سطوة الإعلام السائدة اليوم. هي رواية ساخرة يتميز أسلوبها باختلافه عن الاساليب الروائية التقليدية، فإميل حبيبي يمزج بين استلهام التراث العربي من السيرة والمقامة والأمثال والحكايات وبين أساليب روائية حداثوية وما بعد حداثوية، متأثرا أيضا بكافكا و سخريته السوداء وكنديد وفتولتر وغيرهم[62].

يقول الدكتور فيصل دراج: أنجز أميل حبيبي في المتشئل نصا تلفه السخرية من الألف إلى الياء. مستغرقة الراوي وشخصياته وحاضره وماضيه نصا ساخرا إبداعيا، يرى إلى وطن كأن يتهب للرحيل،ومع أن السخرية من حيث هي فعل هجائي مقاتل. فقد خلق إميل حبيبي راويا يسخر من ذاته ويثير السخرية مكتفيا باحتجاج على وضع مأساوي لاسبيل إلى الخروج منه إلا بالتساذج الدفاعي من خلال قراءة المتشائل أسلوبه كتابة جارحة بلادماء يعد أعظم الفن ماجاء انتصارا على الألم والاغتراب والظلم وأوفره دلالة وأبعده أثرا وتأثيرا. وكي نصل بالضحك إلى أن يكون فلسفة مقاومة كما تتجلى في رواية المتشائل. أميل حبيبي هو صاحب وروح متميز تمتزج عنده الفكاهة بالسخرية في أسلوب مرح مكثف. واحد من المبدعين القلائل الذين يتجهون

[62] . Great World /writers Twntieth Century, Edited by Patrick M. o' Neil – 534.

إلى رغبة ملحة بالبكاء والضحك معا بل تقتضي دقة القول أنه يضحك وأنت تبكي لا على أن الضحك والبكاء نقيضان، بل على أنهما درجتان أو منزلتان في الحزن الصاعد إلى ذروة القهر كما أنه يصل، من دون أن يفقد شيئا من وجه الرؤية، إلى قناعة شبه تامة بأن الضحك هو وجه آخر للغضب المقدس يحرس قيم الإنسانية، من أجل هذا يبدو الحديث عن السخرية في روايات أميل حبيبي معقدا، ما لم تتخذ إليها سبيلا مناسبا، ذالك لأنه قائم على فهم الروح الفلسطينية في أعماقها العميقة، وأغوارها البعيدة، كما تعكس كل هذه في رواية المتشائل.

أخيرا لا بد منا من القول إن رواية المتشائل تعتبر نمطا جديدا في الأدب العربي شكلا ومضمونا.، يجدر بنا أن نأخذ أهم نماذج عدة لبيان الجوانب الفنية.

(1) تفصيح: نرى هذا التفصيح الذي ورد في رواية المتشائل: لم يشأ الرجل الكبير إلا أن يصحبني إلى بيت خالتي فيسلمني إلى مدير السجن تسليم اليد باليد ، فنحن الذين ورثنا الدولة عن آباءنا، تظل مراتبنا عالية ولو في قاووش السجن[63].

(2) وكذالك نجد الجناس والسجع في نفس الرواية كما نرى الجناس في المتشائل "يادلالة على من تدلين! فما إن أشرف على الناس هذا

[63]. المتشاءل لإميل حبيبي ص 159

الشرشف حتى شرفني معلمي يعقوب بزيارة عاطل، أي خلوا من السلام عليكم، فلم أرد التحية، وكان يصرخ أنزله يا بغل[64]!

من بين الألفاظ الثلاثة المؤكدة (أشرق، شرشف، شرفي) هناك علاقة جناس يمكن كل لفظ يشكل كانتماء إلى مستوى لغوية خاصة على النحو التالي: لفظ أدبي قوى، لفظ أدبي استعمل في لغة عامية، في النص المذكور أعلاه هناك تحالف المبتدأ والخبر بين الألفاظ التي تجعل جزءا أصيلا للجملة.

التناقض الحصول عليه باندماج الألفاظ الأدبية القوية مع لغة عامية يجعل تأثيرا هزليا. اللفظ الثالث (شرفي) عامي يدل على معاني إيجابية، بل في هذا النص يظهر نقيضا كاملا ونصا متغايرا.

في النص التالي نطلع على أربعة ألفاظ منظمة.

" فقلت متهكما وأنا اتظاهر بالجهل بالجيولوليتيكا.ها نحن خرجنا عن الخط الأخضر ودخلنا في خط العرب الأغبر الذين تركوا أراضيهم أنتيكا[65].

تأثير مدي روح الدعاية ينشأ من خليط من التورية والسخرية السياسة التي يسخر فيها العرب من قبل الراوي بسبب استسلامهم لقوات يهودية. ويتم التعزيز والتدعيم للهجاء السياسي بالتلاعب الإلفاظ من النثر المقفى وتختلف مستويات اللغة ،والسجع بين الألفاظ، الجيولوليتيكا، وأنتيكأ، يخلق تأثيرا هزليا واضحا اللفظ الأول يشير إلى المهارة في المصلحات العلمية، واللفظ

[64]. المتشاءل لإميل حبيبي ص 154.

[65]. المتشاءل لإميل حبيبي ص166.

الثاني يوجد في سياق معروف وعامي. والقافية بين الألفاظ (الأخضر) و (الإغبر) يخلق تأثيرا هزليا عن طريق المفهوم المعروف السلبي- ينتسب إلى اللفظ الثاني. هذه الألفاظ أربعة بشكل مقفى تقسم إيقاعا إلى الأربعة ألفاظ متساوية كلها يتبع وزن القافية أي، بي ،بي ،اي.

ومن المهم الإشارة إلى جملتين في رواية المتشائل : شكسبرنا يا ابن الكلب[66]، فلا تظهر تصريحاته إلا في التايمزين - تايمز لندن وتايمز نويورك[67]، نجد فيها استعمالا لغويا مخالفا لروح اللغة العربية والقواعد في هاتين الجملتين في جملة ثانية نجد اختراع الفعل (شكسريا) معنى ذالك القراءة من ألفاظ شكبير. كل هذا لخلق تأثير هزلي[68].

[66]. المتشاءل لإميل حبيبي ص 169.

[67]. المتشاءل لإميل حبيبي ص 65.

[68] . The Palestinian Novel; A Communication Study 58 – 61.

دراسة الجوانب الفنية في رواية سداسية الأيام الستة.

هذه الدراسة تبدأ من الاختلاف حول صياغة قصصية أو روائية من المعروف أن سداسية الإيام الستة رواية. أما سبب الاختلاف فهو يرجع إلى أن هذه الرواية تتألف من ست لوحات لكل عنوانها الخاص بها. ولا يوجد حدث يوحد بينهما وليس فيها شخصية مكررة، وهي لذالك أشبه بقصص قصيرة لكن ما يوجد اللوحات الست إضافة إلى المناخ العام.

هو أنها جميعا تحاول تجسيد موقف واحد يتمثل في التحدي والمقاومة وهذا التوحد في المناخ العام والموقف يجعل اللوحات الست بمجموعها أقرب إلى العمل الروائي ولعل شبهها بالأقاصيص من ناحية واقترابها من العمل الروائي من ناحية أخرى هو الذي أثار نقاشا بين النقاد العرب حول شكلها الفني، وقد رأي معظهم أنها تشكل شبه رواية من نوع جديد حقا كل حزب بما لديهم فرحون. يقول د.هاشم ياغي:هذه السداسية تبدو كأنها مجموعة من قصص قصيرة ولكنها في الحقيقة رواية ذات أقسام ستة متناغمة تناغما بينا في الشكل والمضمون[69].

ويتنبه د. شكري ماضي إلى السبب الجوهري في خلق هذه الأشكالية الأجناسية في سداسية الأيام الستة ، فيعيدها إلى الجديدة المتمثلة باتباع أسلوب اللوحات التي تقوم كل منها على دائرة مغلقة من حيث الحدث والشخصيات، غير أنه يجد بين اللوحة والأخرى صلة ما من حيث الارتباط

[69]. د. هاشم ياغي، الرواية وإميل حبيبي ص 22.

المضموني بين اللوحات نفسها مما يؤدي بنا إلى إيجاد رابط روائي من خلال ذالك الارتباط، انطلاقا من أن الموقف الواحد للشخصيات، والمتمثل في إعادة اكتشاف الماضي وحقائقه من تفاصيل الهزيمة قد فرض تعدد البطولات التي تقابلنا في السداسية، وهذا يجعل الشخصيات مرتبطة معا بأكثر من خيط روائي على الرغم من عدم ترابطها في الظاهر[70].

وقد انفرد غالي شركي في عددها ثورة فنية، إذ يقول ولست أود أن أدخل في نقاش عقيم حول الرواية. هذه الرواية التي صدمت بحر كاتها الست المستقلة في الظاهر عن بعضها البعض، المفهوم للتقليدي للفن الروائي، باشتمالها على ست لوحات ينظمها إيقاع ورواية عربية جديدة بكل ما يعنيه لفظ التجديد من ثورة فنية تعادل ـ موضوعيا ـ ثوراتها الفكرية لذالك كان عطاؤها الرئيسي في تقديري هو تلك الإضافة الفذة إلى تاريخ الرواية العربية[71].

هذا العمل الروائي يحز من تهجين الشكل الروائي الأوربي بعناصر سردية وغير سردية مجتلبا من التراي العربي والحكايات الشعبية وأشكال السرد الشفوية وسيلة للخروج من قبضة الشكل السردي حيث استطاع حبيبي فيها إن يقيم بناءه عمله الروائي على مواد متنوعة متغايرة وإن يشكل عادته السردية في دوائر متقاطعة.

---

[70]. د. شكري عزيز ماضي، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية المؤسسة العربية بيروت ط ا ـ 1978 ص 175.

[71]. غالي شكري، مجلة الطليعةن 84، س 15، 1971، ص 48.

هي تشتمل على حكاية تجر إلى حكاية بحيث ينسى القارئ الحكاية الأولى إذا ينجرف من سيل الحكايات التي تذكر بأسلوب ألف ليلة وليلة وتفضي إلى قارئها سلسلة حكايات تؤدي الواحدة منها إلى الأخرى.

يعمل إميل حبيبي من خلال توسيع دائرة الحكاية وإيراد تعليقاته عليها وإغراقها بفيض من الحكايات الموازية والحكايات الشعرية والنثرية على توجيه القاري إلى أصل الحكاية أي إلى معنى التراجيديا الفلسطينية. وصراع البقاء الذي خاضه الأقلية الفلسطينية التي بقيت متثبة بالأرض يكثر الكاتب من استخدام المزاوجة بين قصصه وقصص آخرى مستمدة من التراث الشعبي الخرافي كما هو الحال في قصته الخرزة الزرقاء وعودة جينه".

أما من ناحية التناول: فإن الكاتب يوظف الكثير من القرائن والدلائل في حديثه تتراوح بين عبدالحليم وقصة مدينتين، حيث إن المفارقة في الدلائل والتلاعب بالألفاظ وتوليد اللغة، ويكثر الكاتب من استخدام المفارقات والأسلوب الأدبي الساخر كما يظهر ذالك واضحا في قصة "أخيرا نور اللوز" حيث رسم مفارقة واضحة في شخصية الأستاذ ما بين الخضوع للاحتلال وبين الانتماء الشديد للوطن.

وظهر الكثير من أسلوب الانزياح والتناص والمفارقة اللغوية التي تعنى الأسلوب الإبداعي عند الكاتب الأسلوب الناقد الساخر في الوقت ذاته كما ظهر أسلوب الكاتب السردي البسيط

إلى جانب السخرية اللاذعة الناقدة واستلهامها عبق التراث في تصويرها لشعب منكوب من ناحية اللغة الكاتب يراوح بين الكلمات الاستعمالية (اللغة السهلة المحكية) ومن جهة أخرى بين مفردات قاموسية دقيقة ومفردات غريبة "ما تجعس مسعود كما تجعس في تمور القائظ" كما أنه يكثر من المقابلات اللفظية " حين سعد مسعود بابن عمه".

دراسة الشخصيات والتعليق عليها

شخصيات اللوحة الأولى هي : مسعود (بطل القصة) أخوه سعد (رفع شعاء عرب جرب) أخته الفيلسوفة (التي تعتقد أن الانسحاب حلم أقرب منه إلى الحتمية) ابن رتيبة (الفتي الذي يفهم بالسياسة كثيرا) سامح (ابن عم مسعود) أم مسعود، أبوإبراهيم (صاحب المكان) أما المكان يتمثل في الأرض المغتصبة بعد حرب 67 أما الزمان فهو زمان نكسة حريزان. بعد حرب 67 وضم الأجزاء المغتصبة وبساطة الحدث تجعل هذه اللوحة أقرب للقصة القصيرة، كما عمد الكاتب إلى استخدام الأسلوب الأخباري ليوضح شخصية مسعود من خلال علاقته بعائلته وأقرانه وبعض الحوار التي يغلب عليها الطابع الإخباري.

أما الدلالات الفكرية في اللوحة فهي كثيرة من أبرزها: أغنية فيروزية (لماذا نحن يا أبي، لماذا نحن أغراب أليس لنا بهذا الكون أصحاب وأحباب؟)

أراد الكاتب من خلالها تجسيد الواقع الفلسطيني بعد حرب 67 حيث لم يقف أحد إلى جانبه في مأساته التي أدت إلى تشريده في الدول العربية وما أحس

به من وحدة " عرب ذهب" يلعن أبوالملك حسين" يلعن أبوإسرائيل" (هذا أقحم الكاتب القصة في السياسة لتبيان الوعي السياسي لديهم وموقفهم من الأردن ومن إسرائيل !) كذالك في قول الكاتب " سيارة ذات زامور أزرق" ففي ذالك دلالة على أن السيارة قادمة من الضفة الغربية أما شخصيات اللوحة الثانية: أخيرا نور اللوز فهي : الراوي، الاستاذ (م) أصحاب الأستاذ (م) وهم شخصيات ثانوية، (حبيبة الاستاذ في شبابه).

اللوحة الثالثة : (أم الروبابيكا) أما الشخصيات. ها هي : أم الروبابيكا المرأة التي حافظت على تراث شعبها وهي الشخصية الرئيسية في القصة المقاول (صاحب الحانوت الذي نصت عليه أم الروبابيكا أعماله لما تملكه من تراث بحيث أصبحت منها منافسة كبيرة له.

الدلالات الفكرية فيها: أغنية فيروزية فيها العودة : (البيت لنا والقدس لنا... للقدس سلام آت) في ذالك إشارة إلى صمود الشعب الفلسطيني وأمله بالاستقلال وحلول السلام.

هذا يحمل مصفحا وذالك يحمل أنجيل " إشارة إلى التآخي بين أبناء فلسطين ووحدتهم حول قضيتهم القدس عالية فلماذا يجب اي يبتلعها الطوفان " إشارة إلى الخطر المحدق حول القدس، أما اللوحة الإخيرة في السداسية: (الحب في القلب) فهي أقرب إلى الخاطرة أو المقال الأدبي لكن بصيغة محكية سلسة تستحضر ذكريات من زيارته إلى "لينيغراد" وفي زياته إلى مقابر الشهداء يحكي عن تمثال الجرانيت " آلام الوطن" وصورة لطفل في

الخامسة من عمره وسؤاله " لماذا لم تردين يا عماه، ثم طفلة في السابعة من عمرها تركت في دفتر قبل وفاتها عبارات مؤثرة عن وعيها للحرب.

عناصر الإبداع

تتمثل العناصر بالانزياح والتناص والمفارقة حيث ورد الكثير منها في سداسية الإيام الستة.

الانزياح : بلغني من فم العصفورة " ونزل إلى الحياة، قذفه بالسؤال الحالم طالعة من الخيط، سيارة بجناحين مثل الطيارة، مسعود طفل يفهم في السياسة من نشاطه السياسي تنفيس العجلة اليمنى في سيارة الشرطة أما القصة الثانية تزوج الوظيفة، أيقظته الحرب، حط في قلبه أسدا قرضت الهواء استرحم ذاكرتي، فلتت من شهقة، لنملا عيوننا بمشهد الجبال قطعونا من شجرة حياتهم ، كان الماضي يحتضن الدنيا، كان المضي مفتوحا كعيني طفل، كانوا يلتقطونها من فم الطفل ، أحياء الأموات، في قصة أم الروبابيكا يتدفأون بصمودهم، وفي قصة جبينه اطمعها طفلة كانت تقول للقمر قم، أما قصة الحب في قلبي "لفحة الأمل تعتمل صور الكاتب، تعصف به آلام المخاص. يلدها قصه، ملائكة حتى في جهنم الخ.

أما التناص في السداسية: فيمثل في " كل المقاطع الغنائية لفيروز " لماذا نحن يا أبي/لماذا نحن أغراب/ أليس لنا بهذا الكون أصحاب وأحباب" (بلادي أعدني إليها ولو زهرة يا ربيع) (بالايمان راجعون للأوطان راجعون/ راجعون راجعون) البيت لنا والقدس لنا / وبايدينا سنعيد بهاء

القدس بايدينا للقدس سلام آت آت) يا سكان العالي، طل من العالي، عينك علينا على أراضينا رجع أخوتنا وأهالينا) وهناك مواضع تناص آخرى (حرب الأيام الستة بين حانا ومانا ، عرب جرب، عرب ذهب، حاكم يا شطار، قصة مدينيتين، لوحة الجيوكندة، لاهم ولاغم ، طالعة من الحيط، سدني كارتن، فيلسوف هيجو جرنوار" وقوله الشهير" سعادتي الكبرى في قضاء الإيام كلها.... وهذا شئ جميل. احياء الأموات" اولئك آبائي " سورأحمد" الآشباح الهائمة، الخررزة الزرقاء وعودة جبينه، أما المفارقة: " الكبار إنما صغار كبروا ، أحياء الأموات، استهجان استهجان لؤما ، ذهابا أيابا، ملائكة في جنهم، كما أن المفارقة تتجلى في عناصر التناص إذ لا تناص دون مفارقة ولا مفارقة دون تناص.

دراسة الجوانب الفنية في رواية إخطية

إن رواية إخطية أيضا لها حضور ملموس في الأسلوب الرمزي، وتتكرر فيما المواقف والحكايات الساخرة وبشكل سردي وسوداوية أو تهكما، أميل حبيبي يتحدث عن الضحك والمواقف والشخصيات التي تستثير ضحك الراوي فهو يضحك من طريقة طرح الأسئلة وطريقة الإيجابية وأفعالهم العادية وغير العادية ويتحدث عن الفتاة الجميلة، إخطية التي لم تتكلم حين قابلها إلا بعينها فظنها خرساء، ويقول بعد ذالك انطويت على نفسي فاغرقت في الضحك يلاحظ إن شخصية الراوي في إخطية شخصية شديدة التهكم والسخرية لكنها تواجه العالم بقناع الجدية. إن الضحك هو السلاح الفعال على أدراكها العميق بتلك التناقضات المؤلمة التي يعج بها واقعها في ظل السلطات القمعية الإسرايلية، كما سبق البيان بأن هذه الرواية تشتمل على ثلاثة دفاتر (شخوص، إخطية، وادي عبقر) ويتوزع كل دفتر على فقرات معنونةن ويشتمل التناص فيها جميعا مع الشعر التراثي العمودي، وبخاصة منه (مروج الذهب) للمسعودي، وألف ليلة وليلة. حيث المناط هو الشعور الدافق الذي يفجر المخيلة فما هو فوق الطبيعى أو غير الطبيعى، لتعود الرواية به إلى واقع محدد في زمن محدد: الفلسطيني في مواجهة الصهيوني.

قد قدمها إميل حبيبي في تجربته الثرية الفريدة من استثمار التراث السردي، ومن استثمار العيش الشعبي لعله نسيج وحده، ينهض على تشغيل خاص للغة وللسخرية كما ينهض بالخبرة في الشأن الصهيوني والشأن

الفلسطيني وبالحس الإنساني العميق والدافق والفاجع، يبعث بها على المقاومة والصمود في وجه العدو المحتل.

وكذالك توجد فيها السخرية القائمة على المفارقة اللفظية والنص يمتلئ بمعجم خصب لهذه المفارقات اللفظية التي تحتاج إلى حصر خاص لمتابعة حالات التصحيف والمزج والاختصار اللفظية.

إن عنصر السخرية بمفارقته اللفظية من جهة، أو بأحداثه المرورية على لسان السارد بعد أن - من جهة ثانية- استدعاها من تراثه، أو من خلال المواقف التي وجد نفسه - من جهة ثالثة - فيها من خلال مأزق مبكية مضحكة، أقول بأن هذه المواقف شكلت "باروديا" ساخرة تتوزع بين الهجاء أحيانا ورص المستملحات أحيانا أخرى في سياق الدفاع عن الذات ومواجهة الآخر في آن واحد.

بعد دراسة الجوانب الفنية يمكن لنا أن نبرز خصائصها الفنية على النقاط التالية.

الأمر الأول الذي أكسب أدب أميل حبيبي أهميته الخاصة هو رفضه للمعمار البنائي التقليدي للروايات والقصة القصيرة على حد سواء. فقد أوجد الكاتب بناءا جديدا له نكهته الخاصة المتفردة والمتميزة.

والثاني: الذي يفضي الأهمية على أدب إميل حبيبي كسره نمطية بطل المقاومة خاصة في المتشائل/ فشخصية المتشائل - بطل الرواية - تشكل خروجا عن المألوف فيما اصطلح على تسميته بأدب المقاومة النمطي

شخصية مسلية وتبدو لينة وشديدة التكيف مع الشروط الجديدة، حتى وإن عجزت في النهاية عن تحقيق التلاوم مع الواقع الجديد ورغم سلسلة التراجعات والتنازلات.

الأمر الثالث: الذي يضفي الرونق على أدب أميل حبيبي ويجعله متميزا وهو قضية السخرية والكلام الكثير عنها قد مضى.

الأمر الرابع الذي أعطى أدب إميل حبيبي صبغته المميزة هو مزجه في العمل الواحد العديد من الأشكال القصصية.

الأمر الخامس: يرفع أدب إميل حبيبي إلى الأهمية هو اللغة : إن لغة الكاتب فرادة فهي لغة تمتح من التراث ولكنها تضيف عليه وهي بالتالي تستمد من الصحافة وتشيد على لغتها وتطورها وتشتق من الأمرين صياغات جديدة، فالقاري يدهش حين يقرأ هذه اللغة التي تمزج بين القديم والحديث من جهة وحين تعبر بالقديم عن موضوع حديث من أخرى، فمثل هذه المصادمة تثري النص وتخلع عليه روحا محببه لطيفة.

الأمر السادس: يشكل إضافة للرواية العربية استخدمه إميل حبيبي في قصصه هو براعته في توظيف المثل والاتكاء على الحكاية الرامزة وتوظيف المفارقات الدالة[72].

[72]. فاروق وادي: ثلاث علامات بارزة، الأسوار، عكا، 1985 ص 124.

الأمر السابع: نضيفه هنا تميز به أدب حبيبي هو قضية براعته في السرد والحوار.

الباب الثالث

تأثير روايات إميل حبيبي على القضية الفلسطينية

أدب إميل حبيبي وإنتاجه الأدبي كان متفاعلا دائما مع حياته وحياة الناس وفي كل ما كتب كان يصور واقعا عاشه أوتأثر به كما رأينا سابقا من خلال رواياته إن رواياته كانت مرتجة بأصداء المقاومة والصمود وتتفاءل نحو الغد الموعود والمستقبل الزاهر. لانبالغ إذا قلنا كان إميل حبيبي شعبا في رجل كان قضية، كان وطنا، ولايمكن أن نستعيده إلا إذا استعدنا الوطن، ودائما رواياته تشرق أرض فلسطين بالأمل الوطيد تبعث فيها روح العمل البناء والكفاح الجاد.

كما نقف من خلال رواية إميل حبيبي أنه يلجأ إلى نوع من تحصين الذات من خلال ترسيخ نموذج الفلسطيني، ويرصد شخصية السياسية والاجتماعية في برهة النضال ولعل نموذجي المناضل والأم أن يكونا أكثر نماذج الشخصيات الروائية الفلسطينية تعبيرا عن إرادة المقاومة أو يعد هذا النموذج أكثر نماذج الشخصية جاذبية، كما خاضت لغة الروايات معركة النضال الوطنى والقومى من خلال بعدها الاجتماعي وقد تجلى ذالك من خلال الأغنية الشعبية والمثل وغير ذالك من الحكي الشعبى الذي يمجد أشكال المقاومة ضد الاحتلال كما نلحظ في كثير من الحوارات التي تجري بين الشخصيات رسالة المقاومة العظيمة.

سيكون هذا الباب الأخير سجلا مفيدا لتأثير روايات إميل حبيبي في بث الوعي بالكفاح الوطني وإلى مدى تتفاعل محتويات رواياته بالنضال الوطني ويكون البحث الشامل عن رؤيته وتعبيرها بالقضية الفلسطينية .

الفصل الأول

تأثير روايات إميل حبيبي في بث الوعى بالكفاح الوطني.

إن من يستقرأ دراسة روايات إميل حبيبي وجد بأنها تحث على الكفاح الوطنى والعروبة الوطنية ومن ثم تزرع بذور الحماسة والشجاعة لاسترداد الحقوق الشعبي الفلسطيني في قلوب الرجال عامة والمرأة خاصة. إذ أن إميل حبيبي اختار شخصيات نسائية ودورها في رواياته أكثر بكثير وهي تقف إلى جنب الرجل تشاركه رحلة الكفاح، تؤازره في معركة الصمود والتحرير، بوصفها قوة فاعلة ومؤثرة في مسار حركة البناء والتحرير، كما نلم بدور يعاد الأولى، وباقية الثانية،ويعاد الثانية في رواية المتشائل و أم الروبابيكا في سداسية الأيام الستة وإخطية في رواية إخطية.

ومن اللازم أن تؤثر هذه الروايات في بث الوعي للنضال الوطني ضد الاستعمار والصهيونية من أجل بناء مجتمع فلسطيني قائم على أسس العدالة والمساواة لجميع أبناءه رجالا ونساءا ومن الطبيعى في ظل تلك الأوضاع الصعبة التي عاشها الفلسطينييون بعد النكبة، ألا تنفصل قضية تحريرها عن القضية الوطنية، فكانت معاناتهم بالغة القسوة، ومن الصعب على المرء أن يدرك مدى المعاناة التي تعيشها المرأة الفلسطينية والشعب بأسره ما لم يعش ذالك الواقع الممض، حينئذ تتجلى له الحقيقة. حقيقة الألم الإنساني الهائل الذي يصقل و يحرق ويضئ، حقيقة الحزن الباهظ الذي يكابده إنسان استيقظ

ذات يوم، فإذا هو أقلية مسحوقة في وطنه بعد أن كان شعبا مشحونا بالحياة، يعمل ويبنى ويعد للمستقبل[73].

هذا، تجسد روايات إميل حبيبي بصورة عامة. ويفيد هذا التجسيد في بث الوعى للكفاح والنضال ولم لا؟ نجد في الحوار الذي ورد في رواية المتشائل هو أكثر قوة في النضال وأكثر تحمسا بالكفاح الوطنى عندما تلحق باقية ولدها الذي ثار على سلطات الاحتلال محاولة إقناعه وحمايته (بحبها من ناحية،وبالوعي الذي كانت تحاول أن تنقله إليه من ناحية آخرى، حتى يتحول من التمرد العفوى، إلى المقاومة الحقيقية[74] وهنا نقتبس ذالك الحوار والمتدفق بين الأم الثورية وابنها المتحمس لندرك من خلاله، موقف كل منهما مما يجرى.

تقول باقية: لوكنا أحرار يا ولدي ما اختلفنا. لا أنت تحمل سلاحا. ولاأنا أدعوك إلى احتراس. إنما نحن نسعى في سبيل الحرية مثلما تسعى الطبيعة في سبيل حريتها. فالفجر لايطلع من ليله إلا بعد أن يكتمل ليلة أو الزنبقة لاتبرعم إلا بعد أن تنضج بصلتها، الطبيعة تكره الإجهاض يا ولدي...

سئمت خنوعكم...

لدينا فتية و فتيات لم يخنعوا، فاحذ حذوهم، تحملوا طول ليل، فحملوا الشمس فوق جباههم.

---

[73]. القاسم، سميع، الصورة الأخيرة في الألبوم، دار ابن خلدون، بيروت ط/ 1980 س 44 وللمزيد من الاطلاع على واقع العرب بعد الاحتلال، ينظر قهوجي، حبيب: العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1948 ومركز الأبحاث في م، ت، عام 1972 ص 207.

[74]. أبوبكر، وليد، الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة 120.

أين مكاني تحت الشمس ؟

تحت الشمس

أتظلين تحلمين بالحرية بالجزر السبعة وراء البحيرات السبع؟ ! الخ.

هذا الحوار يدل على الموقف الثوري بعزم ومن ثم تربية أبناءها في إطار ثوري، وكذالك دور "أم الروبابيكا" في رواية سداسية الإيام الستة يستحق التقدير والتبجيل في صمود الإنسان الفلسطيني على أرضه وانتماءه القوى وهويته الوطنية، وتاريخه العريق،كما نرى شخصية " أم الربابيكا" استعملت كرمز للأمم الفلسطينية المناضلة التي تحتضن أبناء فلسطين الأوفياء الذين تفانوا أنفسهم في سبيل تحرير الوطن.

وكذالك في رواية إخطية ورد الكلام هكذا "فهل ظلت إخطية لاتنجب البنات، طول هذا العمرإلا سفاحا فلا ينجبن إلا البنات وإلا سفاحا جاريات في الشوارع حافيات معقرات منعوفات الشعر، عاريات مشحرات؟[75] ".

بمثل هذا الكلام الرمزي إميل حبيبي يحرض المشاعر والأحاسيس والهمم على الصمود والدفاع عن الوطن ويقول من خلال الرواية ما بال أبناء فلسطين؟ هل أصبحت فلسطين عقيمة لاتستطيع أن تنجب إلا سفاحا، في ضوء هذه الروايات يحتم لنا القول بإنها أثرت على المجتمع الفلسطيني نحو الجهاد والتضحية في سبيل حقوق الشعب الفلسطين و انجبت كثيرا من

[75]. رواية إخطية: إميل حبيبي - ص 73.

الأبناء والبنات وكلهم بذلوا كل غال ورخيص في هذا المجال، لقد أدركت المرأة الفلسطينية أن خلاصها من عبودية المجتمع، لايمكن إلا بخلاصها من عبودية الاحتلال، وبتحرير وطنها من المحتل، فقد اندفعت المرأة الفلسطينية إلى ساحة النضال، وأصبح همها وهم الرجل هو تحرير الوطن المسلوب. ولا شك بأن المرأة الفلسطينية قد تأثرت بروايات إميل حبيبي الذي يصور نكبة العام 1948م وتفتيت البنية الاقتصادية والاجتماعية وإقتلاع الآلاف من الفلسطين من بيوتهم، وعاشت حول النكبة وعمق المأساة، الأمر الذي عزز لديها الشعور بالانتماء للوطن كأي رجل، مما دفع لتطور مستوى مشاركتها في العمل السياسي والكفاحي.

وبعد حرب حزيران عام 1967م كما تصورها رواية سداسية الأيام الستة. حدث تطور نوعى آخر على دور المرأة الفلسطينية في انخراطها بالثورة ومشاركتها في الأنشطة المختلفة، فساهمت في النضالات السياسية وانخرطت في منظمات المقاومة المختلفة، وشكلت بعد ذالك العديد من الاتحادات الخاصة بها بهدف توحيد طاقاتها و جهودها وتطوير عملها وأنشطتها. وليس هذا فحسب، إنها انخرطت في النضال داخل فلسطين وخارجها، وخاضت ببسالة معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية في مواقع وساحات جغرافية و نضالية مختلفة، وانضوت تحت لواء منظمات المقاومة الفلسطينية.

فظهرت في عدة صور فهي الأم التي حثت أبناءها وبناتها على التعليم والعمل والإنتاج، وأرضعتهم حليب الثورة وحثتهم على النضال والاستشهاد

أيضا، وهي المعلمة التي علمت الأجيال والعاملة الكادحة، والمنظمة التي قادت خلايا تنظيمية ونقلت الرسائل وسهلت اختفاء المناضلين، وهي المرأة المحرضة والداعية السياسية النشطة والقائدة الجماهيرية، والمقاتلة ضد الاحتلال من أجل الحرية والاستقلال. فشاركت بالقلم والحجارة وزجاجات الملوتوف وفي العمل المسلح، فهي التي شاركت في عمليات نوعية عجز عنها العديد من الرجال كعمليات خطف الباصات والطائرات والعمليات الاستشهادية، كما ولعبت المرأة الفلسطينية دورا محوريا في حماية التقاليد والتراث الوطنى وغرس احترام القيم الوطنية.

وقدمت المراءة الفلسطينية الأم المثالية والمناضلة والمميزة والقائدة الفذة، كما نتجت هذه، عن طريق أم الروبابيكا، ويعاد الأولى، ويعاد الثانية، وباقة الثانية، وإخطية وهذه الشخصيات المختلفة في الروايات المتعددة تمثل هذا النضال الوطنى.

ومن ثم تأثيرها في تشكيل تجربة المرأة الفلسطينية في مراحلها المختلفة، حالة نضالية مميزة في الوطن والشتات من أجل التحرر وحق العودة والتثبت بالأرض والهوية الوطنية، شاركت نساء فلسطين مع الرجال في الصراع ضد العدو الإسرائيلي، فناضلت بالسلاح والقلم، وقدمت التضحيات الجسام من أجل البقاء واسترجاع الأرض، رفعت المرأة الفلسطينية شعار الوقوف إلى جانب الرجل في معركة التحرير، وسقطت شهيدات كثيرات إلا أن المرأة الفلسطينية ما زالت تواصل نضالها الاجتماعي، بما يضمن لها المشاركة الفاعلة في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وانجاز الاستقلال لتعزيز

دورها في صنع القرارومن خلال إطار الروايات، ينبغى لنا القول بأن كل ما يدور في حق الفلسطين من النضال والمقاومة والدفاع عن الهوية والوطنية هي رهينة إلى حد كبير لتأثير الروايات وتنبئ عن كل الانتفاضات الكبرى التي تدفع الفلسطين إلى بناء دولة العدالة الاجتماعية والديمقراطية والمساوات وتحرير الأرض من سرطان الاحتلال والاستيطان.

وكذالك نرى أن أبناء فلسطين تأثروا في بناء المنظمات والاتحادات لتحقيق الأمل المنشود في حق فلسطين من الهم الإشارة هنا إلى أهم المنظمات وفروعها التي تلعب دورا مهما في الحفاظ على الهوية الوطينة، منظمة التحرير الفلسطنية، وفصائل المنظمة منها حركة فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية، حزب الشعب، جبهة النضال منظمة الصاعقة، حزب فدا، بوابة فلسطين.

كما أن حركة حماس قد أوجدت نهجا جديدا بين صفوف شعبنا على طريق النضال على أن يكون القائد في مقدمة صفوف النضال والقتال، حيث قدمت الحركة خيرة قادتها وأبناءها شهداء على طريق الكفاح وكذالك الدور الهائل الذي قادته حركة حماس في الداخل والخارج من أجل الحفاظ والتمسك بالهوية الفلسطينية ووقف التنازلات المجانية، لايستهان به، وكذالك إنها ساهمت مساهمة كبيرة على الصعيد السياسي في بلورة الخط المقاوم ومواقفة السياسة سواء في الداخل الفلسطيني أم على الصعيد والعربي والدولي. هي تقول لكل فرد من أفراد الفلسطين، يجب علينا أن نفهم أن وحدتنا ووحدة شعبنا هي الأساس في مقاومة العدو وانتصار قضيتنا

العادلة[76]. ونحن نعتقد إن الإبقاء على القضية الفلسطينية حية عبر البرنامج الجهادي الذي تمارسه حركة حماس يساعد على يقظة الأمة وعلى ارتباطها على هذه القضية[77].

لا يفوتنا أن نشير هنا إلى حركة الإخوان المسلمين في فلسطين ولايمكن أن يتغاضى أحد عن تأثير رواياته إميل حبيبي على هذه الحركة المتقدمة لأن القضية الفلسطينية وعلاقتها: بهذه الحركة جزء لا يتجزأ، وكمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسحر والحمى ولايمكن أن لا تتأثر هذه الحركة بالروايات المرتجة بالمقاومة والتضحية في سبيل تحرير الأرض. هذه الحركة تتعانق كل الاتجاهات التي تدعم في حق الشعب الفلسطيني. كما من المعلوم اعتبر الإخوان المسلمون القضية الفلسطينية قضيتهم الأولى[78]، وبذلوا قصارى جهودهم في تسوية هذه القضية. ولا شك في أن جهود الإخوان في التعريف بالقضية قد أسهمت في إظهار الهوية الإسلامية لقضية فلسطين والتأكيد عليها وبث الوعى بالنضال الوطني لدى القطاعات العريضة من الجماهير.

لقد قام الإخوان بجهود كبيرة لمناصرة القضية الفلسطينية[79]، وتوفر لديهم وعى مبكر بحقيقة الصهيونية، وطبيعة الصراع الدائرة في فلسطين،

---

[76] . The Independent News paper, Article: Obituary Emil Habibi by sabry Hafez 04 May 1996.

[77]. الدين والسياسة: سفر، محمد صالح ص 114.

[78]. مصر وفلسطين عواطف عبدالرحمن ص 105.

[79]. الحركة الوطنية الفلسطينية صقر، أبوفخر ص 130.

وامتلكوا رؤية واضحة، محددة تبلورت بصورة كاملة أثناء الثورة الفلسطينية 1936 - 1939م[80] وقد عمل الإخوان على أرض الواقع من خلال هذه الرؤية لمواجهة المشروع الاستيطاني الصهيوني المتحالف مع الاستعمار البريطاني والهادف إلى اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه وإحلال كيان صهيوني ذو طبيعة استعمارية توسعية يشكل تهديدا للمنطقة كلها ولذالك عمل الإخوان بحماس وبكافة الإمكانيات التي كانوا يملكونها في ذالك الوقت للتنبيه لهذا الخطر، وبث الوعيى بحقيقة الصراع والنضال في فلسطين واستغلوا كل الوسائل المتاحة والممكنة وعلى كافة الأصعدة الإعلامية والسياسية والمالية والعسكرية لمساندة القضية الفلسطينية.

بناء على هذا نجانب في القول إذا درس أحد منا هذه الروايات فهو لايخرج منها إلا أن يكون متأثرا منها إلى حد كبير، لأن الشخصيات المتعددة فيها تمثل روح المقاومة والتضحية ودحض فكر التميز والتفوق. كما ورد على لسان المتشائل فالذي يدخل إلى السجن، في بلادنا، يصبح حاله كحال الملكوك في يد الحكائك: داخل خارج . وأما حائكي فهو الرجل الكبير لم يشفع بي ماضي لأبيض بل زاد سوادا حاضري سوادا حتى رأيت باب السجن الحديدي بابا بين ساحتين في سجن واحد، ساحة داخلية أتمشى فيها ساعة، فاستريح، وساحة خارجية فيها ساعة، ثم أروح. وفيما أنا في مدار هذا الصاروخ المكوكي جاءني الرجل الكبير مهددا بأنهم سيظلون ورائي من سجن إلى سجن حتى أهلك حبيسا أو طليقا أو أن أعود إلى خدمتهم.

---

[80]. مصر وفلسطين عواطف عبدالرحمن ص 115.

حلوا عني واركبوا غيري!

هل تتوهم أننا نجد أمثالك ملقين على قارعة الطريق؟

قضيت نصف عمري في خدمتكم، فدعوا البقية أعيشها كبقية خلق الند. لاأهش ولا أنش. ولكنه أفهمني أن هذه الخدمة لافكاك منها حتى بالموت.

وقال: أبوك أورثها لك وستورثها لأولادك من بعدك. وسوف يلعنونك إلا أن ذراعنا الطويلة ستنالهم، جيلا بعد جيل.

وهددني بأن الناس لمن يؤمنوا بتوبتي بل سيقولون أن العرق دساس وأن من شب على شئ شاب عليه، وبأننى لن أجد ملاذا غيره، وهددني بالسجن وهددني بالتعذيب،وهددني بالموت جوعا.

ولكننى لم أجع. فقد بسطت، في زاوية في وادي النسناس، بسطة كنت أبيع فيها الخضار.... فإذا جاء موسم البطيخ بعته أحمر حلو المذاق على السكين.

فلما سلطوا على عساكر البلدية حليت أفواهمم. فلما رجمني أولاد الحارة،على اعتبار شهرتي الشهيرة استحليتها منهم فتركوني أحل في الحارة مطمئنا.

غير أن الرجل الكبير لم يحل عن فاستكتب ورقة يأمرونني فيها بالأقامة الجبر فأخفيتها حتى يظل عساكر البلدية يجبرون بخاطري. فإذا بالرجل الكبير يرسل عساكرهع فيداهموننى على بسطتي، في عز الظهر، فيقتادوننى إلى السجن متهمينني على رؤوس الأشهاد بأننى خالفت أمر

الإقامة الجبرية وسافرت إلى شفا عمرو أتسوق بطيخا وأن هذا الفعل يطيح بكيان الدولة فالذي ينقل البطيخ سرا ينقل الفجل سرا، وبين الفجل والقنابل اليدوية مجرد لونه الأحمر. والأحمر، على كل حال، ليس الأزرق والأبيض. وبالبطيخ تستطيع أن تنسف كتيبة كاملة، أذا أخفيت فيه قنابل نعل، يا بغل!.

فأجابهم البغل: ولكننى أفتحها على السكين!.

قالوا: والسكن أيضا: فلما انتشر الخبر بأن ورقة الإقامة الجبرية قد جاءتني ازداد الإقبال على بسطتي حتى جاءني شاب وقد تأبط صحفا، حى وقال:

جاءتك؟

قلت جاءتني منذ زمن طويل.

فلماذا لانقرأ الجريدة؟

قلت: لأنكم لم تجيئوا !.

فقمت وعلقت ورقة الإقامة الجبرية على جدار البسطة فلم يمض يومان حتى جاءت الشرطة، وأبلغتني بأن الحاكم تلطف وألغى أمر الإقامة الجبرية، وأن دولتنا ومقراطية ثم انتزعوا الأمر من على الجدار وأعادوني إلى السجن قائلين أننى حقرت أوراق الدول الرسمية.

وقال كبيرهم : لو كنت في بلد عربي هل كنت تجرؤ على التباهي بورقة الإقامة الجبرية ؟ إن دمقراطيتنا لا تصلح لكم"[81].

وكذالك شخصية يعاد، باقية، وباقية الثانية وولاء، كلها تؤثر إيقاعا في قلوب الدارسين.

وكذالك شخصية مسعود، والفتيان الصغار وابن سامح، وأخته الفيلسوفة وأم الروبابيكا،وابنة المقدس، والشاب ابن الناصرة، وجبينة، والفتاة المقدسية، والفتاة الحيفاوية كلها تؤثر ضرورة الوعى الحقيقي بالنضال، وتوثر أثرا إيجابيا على المجتمع وثبث الغيرة والشجاعة والإستماتة في سبيل العزة والكرامة.

[81]. رواية المتشاءل - إميل حبيبي ص: 179

الفصل الثاني

دراسة مدى تفاعلات محتويات الروايات مع النضال الشعبي الفلسطيني

إن الدراسة المتأنية لروايات إميل حبيبي ولاسيما رواياته الثلاثة الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل وسداسة الأيام الستة وإخطية.

تكشف لنا أن هذه الرويات كلها تنبع عن الوقائع الاجتماعية والأحوال الواقعية يعيشها الشعب الفلسطيني مع أنه ربما يتبادر إلى الذهن وبالأخص أذا كان القارئ يلقى نظره السريع على هذه الروايات بأنها لاتمت بالقضية الفلسطينية والجهود المقاومية والاضطهادات السائدة على الأمة الفلسطينية بصلة قوية ويتخيل بأن إميل حبيبي يسلط قصة مفتعلة أو غريبة لاتكاد تنسجم مع الوقائع المتواجدة في المجتمع الفلسطيني.

ومن هنا يتضح أن البحث عن مدى تفاعلات محتويات الروايات مع النضال الشعبي الفلسطيني يكسب أهمية بالغة ويتحتم للدارس أن يتوغل في الروية ويتفاعل بها كما يجب عليه أن يتفاعل مع كروب وآلام واضطهادات وأحزان وكؤائب وفواجع يرزح تحتها الشعب الفلسطيني وتعاني الأمة المظلومة فيها من الحرمان والقتل والفتك والذعر، والتشريد، وما إلى ذالك من الأحوال الحرجة المتأزمة التي تجرحها. وليس هذا فحسب وفي نفس الوقت ينبغي له أن يطلع على تاريخ النضال الشعبي الفلسطيني وصوره وعدة طرقه وأبطاله الباسلين الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الحصول على

الحرية والحفاظ على الهوية الوطنية وذالك باتخاذ الوسائل العديدة التي تتألف وتتخالف مع الوحدة المتكاملة في الغرض والهدف الموحد الوحيد الذي يتطلع إلى القوة والحياة والآمنة والتعايش السلمي والنجاة من الشعور بالخيبة والمهانة والذل والاستكانة التي تكاد أن تقلل من العزم للسير على طريق الحق ألا وهو طريق يفضي بالإنسان إلى الاستماتة والتفاني في سبيل الحصول على الاستقلال والغيرة وما إلى ذالك.

فإن الروايات الثلاث لإميل حبيبي التي تتمثل في الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل ـ وسداسية الأيام الستة وإخطية، كلها بشخصياتها المتعددة المتنوعة وقصصها المختلفة تتفاعل بمحتوياتها الشاملة (ولاسيما في أبعادها ومفاهيمها الواسعة) بالنضال الشعبي الفلسطيني وبالواقع الاجتماعي المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني فمثلا رواية الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" كتبها الروائي وأراد أن يصور الفلسطين والشعب الفلسطيني والنضال المستمر من 1948 إلى 1972م فنجد لهذه الرواية هذه الصوركلها تتراقص وتتماثل فيما بين أعيننا من خلال الشخصيات والحوادث في الرواية.

وهذه الرواية تتركز إلى حد كبير حول شخصية سعيد أبي النحس المتشائل وهو أكبر تفاعل بالشعب الفلسطين ومستواه الذهني والفكري وكربه الجسدي والروحي بأفكاره الغريبة وسلوكياته الشاردة التي لاتتولد إلا في حالة من اللأمنية وعدم القرار وحالة الخوف والذعر وسيكولوجية تتألف بالخيبة والحرمان والنقص أكثر مما تتجانس بالحب والكسب والفوز بالمراد

وما إلى ذالك من المعاني السامية فإن هذه الشخصية مع بروزها كشخصية شاردة ليست جزءا للشعب الناضل الفلسطيني إنما تتعمق في هذا النضال بل وتصوره بالأبعاد الواسعة وهنا تتجلى أهمية الكاتب وبراعة في فن الرواية والتعبير عن الواقع بتقنية روائية بارعة (170 - 171) ولولاعينان اثنتان صوبتا نحوى بلا حراك ابتسامة تشجيع سريعة، ولولا يد تشد على يدي أن اشتد، لحسبت أن الجسم الممدد إلى يسارى جثة بلا حياة.

قلت: أهلا! فخرجت : آها ! فسمعت صاحب الجسم الملتف بعباءة الملوك الأرجوانية يهمس: ما شأنك يا أخي؟

قلت: هل هذه هي الزنزانة ؟

فسأل أول مرة: ؟

قلت: هناك غرفة بلا نوافذ

قال: وهناك أمل بلا جدران..

قلت: وأنت؟

قال: فداي ولأجئ . وأنت؟

فتحيرت في هويتي كيف انتسب أمام هذا الجلال المسجى الذي حين يتكلم لايئن ويتكلم حتى لايئن هل أقول له اتخذ كبش ومقيم؟ ا/ أقول له: وظلت إلى بلاطكم زحفا؟ فسترت عورتي بأنين طويل"[82]

وكذالك يتجلى هذا التفاعل الشامل الكامل بمحتويات الرواية بالقضية الفلسطينة والنضال الشعبي فيما يقوله إميل حبيبي عن طريق الشخصيات في الرواية لسعيد أبي النحس المتشائل.

"باقية ، يا باقية أهذا ما اتفقنا عليه؟؟

سعيد، يا سعيد، أولادنا آمالنا!

فاشتروا سلاحا وذخيرة ومتفجرات. وأقاموا فخزنا ومؤئلا سويا في قبو مهدوم ومهجور في خرائب الطنطورة. فارسلوا أحدهم إلى لبنان حتى يقيم الصلة بالفدائيين. قال الرجل الكبير: فوصلناه بأيدينا، أمسكنابه وبالآخر. أما ولاء فالتجأ إلى الموئل في القبو، وقد أجمع أمره على أن يموت شهيدا. فجئناك يا سعيد، يا ابن النحس، يا ابن المتشائل كي تقوم وتمضي اليد فتقنعه بأن يرجع عما هو مقدم عليه من انتحار صبياني، شفقة بك وبأمه، ولم نأتك إلا لأنك رجلنا. فنريد أن نخدمك كما خدمتنا.

[82]. رواية المتشاءل - إميل حبيبي ص 170 - 171.

قم إلى بيتك فأصحب أمه، الطنطورية، وامضيا إلى خرائب الطنطورة قبل إن تصبح حياتكم كلها حزية واحدة فإذا سلم منحناه الحياة، من أجل خاطرك فإذا ابي إلا أن يفضحنا متم"[83].

أما شخصية يعاد فهي تقوم بدور فعال وتبقى القيمة الأيجابية، وتقاوم بكل قوة، وتمسك ببلدها قائلة" هذا بلدي، وهذه داري".

وكذالك شخصية ولاء هي شخصية قوية، متفاعلة فدائية لايعبأ بما يبوء به أنه يرفض الأعداء رفضا تاما كما ورد في الممتشائل"

"ولاء، يا ولاء بنى لا تطلق الرصاص فأنا أمك!

فاطبق صمت.

لاجدوى من المقاومة، فقد كشفوا أمرك.

فأتانا صوته، وقد جعله العمق أجش، وهو يتكلم، كعادته، مفطرا:

كيف؟

هم أرشدوني إلى مخبأك.

لست بمختبئ، يا أماه، وإنما حملت السلاح لأننى مللت اختبائكم.

فاطبق صمت.

[83]. رواية المتشاءل - إميل حبيبي ص 136.

حتى عاد صوته يأتينا من الأعماق. فعجبت لهذا الصوت العميق كيف يحتويه صدره الضامر:

يا امرأة، يا التي هناك، من أنت؟

أمك نـاياولاء، فهل ينكر الولد أمه؟

أمك نـايا ولاء، فهل ينكر الولد أمه؟

أي ، وتجئ معهم.

بل أرسلوني، مع والدك، وحدنا يا ولاء... ها هو جالس على بقية سور ينتظر أنقاذ بقيته.

فلم لا يتكلم؟

أنه لا يحسن الكلام.

فتنحنحت.

ما الذي جاءبك با أماه؟

ارسلوني كي أقنعك بأن تلقى سلاحك، فتخرج إلينا، فتسلم.

لماذا؟

قالوا: رحمة بي و بأبيك.....

لو كنا أحرار، يا ولدي، ما احتلفنا لا أنت تحمل سلاحا ولاأنا أدعوك إلى احتراس إنما نحن فسعى في سبيل هذه الحرية[84].

وكذالك تتجلى تفاعلاته في الرواية بما فيه من نضال مقاومة وحالة غريبة من خلال محتويات رواية إخطية والرواية توحى باسمها إلى ما تستغرق من الإحاطة بقضية فلسطين ونكبات أهلها مقابل الأعداء الاحتلالين الإسلائيلي الظالمين الذين أحدثوا وأذاقوا أهلها سوء العذاب والروائي عن طريق قوته الفنية وتوسعه الذهبي المتعمق ومستواه الأدبي الرصين يستطيع أن يعبر عن فلسطين وفواجعها من استكانة ونكبة وضعف وهوان يتمخض منه النفاق العملي وفقدان الغيرة وعدم الاهتمام بالجوانب الوطنية المتحمسة في أسلوب رمزي بليغ يتسع لدلالات معتددة ويشير إلى معانى واسعة غير أن اللبنة الأساسية إنما هي فلسطين و النضال الشعبي.

فإن قصة "إخطية" ليست هي قصة بنت جميلة مغامرة محبة للوطن أو عاشقة للجمال أو قصة بنت يتلهف عليها الشبان ولكنها إخطية يمكن أن تكون بنتا أو فتاة خلابة في بادئ الرائي ولكنها إشارة إلى حقيقة أكبر ورمز لواقع عظيم ودلالة على قضية مهمة أكبر بكثير عن حب الشعب للفتاة أو الفتاة لراجل أو إنسان لإنسان آخر، إنها حب ومغامرة ونضال وتلهف وحفاظ على تقاليد وعادات واستماتة في سبيل ولكن الفحوى واللب لهذه المعاني السامية مأواها ومرجعها وطن بل هي فلسطين نفسها بنكباتها

[84]. رواية المتشاءل - إميل حبيبي ص 138 - 141.

وفواجعها بتغافل أهلها لشؤنها وخور عزائم أبنائها أمام أعداءها ومع ذالك بثباتها على موقفها ومصابرتها بالاستمساك بقدرها.

فرواية إخطية بدأ من دلالاتها الظاهرية إلى ما تحيط بها من الرموز والإشارات والأيحاءات تصور المجتمع الفلسطينى الموجع وتمثل ضعف أهلها وذالك عن طريق السخرية والتضاحك والرمي لشرارة الغيرة في نفوس أبناءها بالمعاتبة والتبنية الزاجر تتجلى أمامنا كصورة صادقة ومصداقة ومصداقية تامة لما عاشتها فلسطين من هزمات وأزمات وتأزمات وما تتولد منها من استكانة في العزائم وخور في قوة. وقد تكون موجودة حتى الآن، في الفتحات العليا من السور بعد أن حفرت مدينة الأسفلت، في عمق السور، شارعا أرادوه مستويا فأبعد الفتحات عن متناول الأيدى حتى أصبحت أشبه بأعشاش الحمام، زوجين زوجين، كانت تلتقى فيها.

قلوبنا على السرقة الحلال، كاللوز والبرتقال واليوسف آفندي، طي صندوق من الشوكولاطة أو "الطوفي" فهل أمسكوا بك، يا عبدالكريم، متلبسا بهذا الصندوق بعد أكثر من ثلاثين عاما من الانتظار فوق السطوح الأبعد من القريبة؟

هل وجدت العش سليما غير منعوف؟

هل كنت أنت، إذا صاحب إخطية؟

أنت يا عبدالكريم؟

هل، حقا، اعترفت أمامهم بأنك والد الطفل الذي ولدته "إخطية" سفاحا؟

أنت، يا عبدالكريم!

وبعد هذا العمر الطويل؟

ما هذا الهذيان ؟ أحفظ، عن ظهر قلب، فاقيل عن الخطية و أنها ستلاحق الخاطئ حتى تكشفه. ولكن خطئية إخطية وقعت قبل نصف قرن.

فهل ظلت إخطية لاتنجب البنات، طول هذا العمر، إلا سفاحا فلا ينجبن إلا البنات وإلا سفاحا جاريات في الشوارع حافيات معقرات، منعوفات الشعر، عاريات مشحرات؟

ما هذا الهذيان؟

هل من الممكن، ياعبدالكريم، أن تكون التقيت إخطية، بعد مضى نصف قرن، أو أحدى بناتها؟

عم جئت تبحث، يا أباس" عن إخطية الأولى ـ الخطيئة الأولى؟

أدعوا أنهم ألقوا القبض عليك وفي يدك صندوق " طوفى" صغير ملئ بقصاصات صغيرة من الورق. فهل ظلت إخطية تراسلك عاما عاما، دون من مجيب؟

هل وقفت، أمام السور، خمسة أيام بلياليها ـ كما قيل ـ منتظر أن تظهر صاحبة الرسائل غير المجابة؟ فماذا كنت ستقول لها لو أنها جاءتك ـ إخطية الأولى؟

هل أنت إخطية الأولى أم الثانية أم الثالثة أم العاشرة؟

ولماذا أنت من دوننا جميعا؟

فمن منا لايتذكر إخطية ولم يعشقها حتى التلف[85].

إن ذالك ملحوظ به فيما بأتي به الروائي هذه التفاصيل يا الله، إنها ليست رواية إنها فكرة متجذرة في الأعماق تتأصل في المواد غارقة في سويداء القضية الفلسطينية ومن هنا تبرز كأنها مرآة صافية تترای فيها فلسطين بما لها وعليها.

تتفاعل محتويات الرواية بالقضية الفلسطينية تفاعل النداء بالشجرة.

هات بنا نتجرب تتفاعل هذه الصور الموحية جاء بها الروائي بأسلوبه الرصين الممتاز فمن يكون؟

أي منا لم يشعر، في تلك الأيام أنه هو؟

أي منا لم يشعر، في تلك الأيام، بأنه جبان رعديد لأنه لم يجروء على قرع باب بيتها، وعلى إبلاغ أبويها بأنه والد الطفلة، مع علمه بأنه ليس والدها، ولكن الواجب يدعوه إلى ذالك؟

[85]. إخطية لإميل حبيبي ص 73.

فهل تشيح بوجهك قائلا: هذه ليست أختى، لو رأيت يا عبدالله في طريقك رجلا"

"قد الجيل" يعتدي على طفلة؟

أما إخطية فكانت أختك، يا عبدالله، فكيف لم تهرع إلى أغاثة مليحة سطا عليها غول؟ أي منا، يا عبدالكريم، لم يغض الطرف عنها ويشبح بوجهه خوفا من أن تعترف باسمه ؟ ولكنها لم تعترف. ولن تعترف إن إخطية من تلك الظواهر الكونية التي وجدت لكي يعترف الناس بها لا أن تعترف بها تبوح بأسرارك لها، فلا تبوح باسرارك: دغلة في الكرمل استعصت على اسفلت.

وبعد الانتهاء بالقراءة هذه الرواية لايكاد القاري يخرج من تساؤلات تلصق بركن ذهنه وتكاد أن تنفذ إلى أعماق نفسه من هي إخطية أهي خطية فمن ارتكبها هذه الخطيئة إلى من هذه ترجع المسؤلية ومن يقوم لإرجاع مكانتها السابقة ورونقها وبهاءها إليها من سيميت في سبيلها؟ تساؤلات تقلق وتشوسات تنعض الهدوء وتوقظ مكامن الغيرة وتدفعها وهكذا يتبين لنا أن تفاعلات محتويات الرواية إخطية مشهودة معلومة.

"لماذا ذهبت مع الذاهبين ؟ لماذا بقيت من دونهم؟ ولماذا جئت وتركتهم؟

إن مرور الوقت على هذا الأمر، من غير أن يهتدى أي واحد منا على جواب، وهو الذي أهداني إلى هذا الجواب، إلى الأمر الطبيعي حتى غايته.

فلو اختار الأمير أن يضع الورقة الخضراء الوحيدة على جبين واحد من أبناء الوزير الثلاثة لكان اثنان منهم، على الأقل، علما بأن الورقة على جبينه لونها أحمر. أما وقد ساواهم بلون الأوراق، فوق جباههم، فقد اختلط الأمر عليهم جميعا، فلما صمت الثلاثة ساعة من الزمن أدرك أشدهم فطنة حقيقية الأمر.

ذهب الذين أحبهم، وبقيت إخطية.

وفي لحظة من اللحظات، في شارع من شوارع حيفا، المكتظة بالسابلة، وبالسيارات، خرجت العفاريت من الصدور والتقت في وادى عبقرفي رائعة النهار، كل يسأل عن إخطية كيف تركها. ولماذا تركها، و كيف حالها من بعده. إخطية الكيسح لولا سروة ـ إخطية الخرساء لولا.... لولا عبدالرحمن؟[86]

تلك التفاعلات تتقوى حينما نأتي إلى سداسية الأيام الستة فإن إميل حبيبي بقدرته الفائقة على أعمال فكره الروائي المتزن المتصف بالفن الإبداعي ونظرته المتوغلة في قضية الفلسطين المقاومية وما نتج عن الحروب الدامية التي جرت فيما بين العرب واليهود منذ سنة 1967م وما بعدها. وما جلبت هذه الحروب من آثار سلبية وإيجابية على نساء العرب رجالها ونساءها, شبانها وكهولها خاصتها وعامتها صامدين في وجه الأعداء أو مخضعين لهم وذالك من خلال الشخصيات الرئيسية والثانوية وربما تأتي هذه الصور

[86]. إخطية لإميل حبيبي ص 94.

كلها متخيلة لدى القراء راقصة أمام الأعين فيما بين الأسطر و طريقة تناول الروائي للرواية فيها ومعالجة القضية عن طريق شبه فلسفية تكاد أن تكون متشائمة ولكنها شاملة تحمل في طياتها إيجابيات وتفاعلات تجعلنا نحلم بعودة الشوقة لمسلمي فلسطين مرة أخرى فإن الشخصية الرئيسة هذه القصة مسعود ظل يعتقد لمدة عشرين عاما أنه مقطوع من شجرة ثم أنه تعرف على أبناء عم له فعرف أنه ليس مقطوع من شجرة ولعل يزور أبناء عمه بحثا عن أقاربه ومن هنا تلقت العائلة من جديد، وهكذا يحيا الأمل وإن ابن عم سامح وأخته الفيلسوفة كلهم يؤمنون بفكرة انحساب من أرض المحتلة سنة 1967م وبذالك يبث إميل حبيبي في الجيل الجديد ضرورة الوعى الحقيقي والشعور المقارنة ولذالك نراه في نهاية القصة يطرح سؤالا " هل حين ينسحبون سأعود كما كنت بدون ابن عم"؟

ليأكد فكرة الإيمان بانسحاب وحق العودة كذالك شخصية "الاستاذم" متولدة لما آلت إليه أسر فلسطين فيما بعد الهزيمة من سلبيات في الفكرة وانحرافات في السلوك ومقابل تلك الشخصية شخصية أم "الروبابيكا" تأتي أمامنا كشخصية قوية واعية وامرأة مسلمة قوية الإيمان تشعر بأهميتها ويؤمن بالفتح فلا تمتنع من عملها في البيع وتجمع الكنوز إيمانا منها بأن الأرض سوف تكون لها يوما من الأيام وكذالك هناك شخصيات صاحبة ابنة المقدس، الشاب ابن الناصرة، جبينة وهي شخصية متميزة تمثل فيها ابنة القرية تجسد النبوة والمواطنة الحقيقية فهي شخصية متفاعلة ترى المستقبل من خلال الأولاد الذي يملؤون السهل والجبل.

كذالك الفتاة الحيفاوية تمثل مفهوم الوطن تحت الاحتلال وتجسد الشعور بالغربة في داخل الوطن والتأمل في ماضي الحياة والتفكير في مستقبله وغير ذالك من الشخصيات الثانوية كمثل أبو ابراهيم، وأخوه مسعود، وأولاد الحارة كلهم بأعمالهم بتفاعلون بالنضال الشعبي الفلسطيني ولكنه يكون ذالك في صورة جديدة متخيلة.

"وانتشر الخبر وتراكضت البنات وتراكض الصبيان، رجعت جبينة ! واندفع صبي إلى عند والدة جبينة، المقعدة الضريرة، مثل عنزة تطاولت عليها وصاح حتى تسمعه وكان يلهث حتى تصدقه، ستى ستى رجعت جبينة.

فلم تصدقه.....

فعاد إلى هودج جنينة مغلوبا على امره. فاعطته الخرزة الزرقاء، بعقدها الذي كان يطوق بمعصمها الصغير. وقالت: قل لأم جبينة هذه من جبينة.

فوضعها بي يديها، فشمت رائحتها فمسحتها بعينيها، ففاضت دموعها فرجع النور إليهما[87].

وهذا النور الذي لايفقده أهل فلسطين في فترة من الزمن يحارى الروائي في محتويات رواياته كلها.

[87]. رواية سداسية الأيام الستة ـ إميل حبيبي في قصة الخرزة الزرقاء وعودة جبينة.

"يا حبيبي أم الوليد هذه الصديقة الحيفاوية تعشق، بتلك، المتنبي وشعره. وحسب نتحدث عن فردوسها المفقود، وعن وطنها الذي تعيش فيه ولاتشعر بوجوده، تردد أبيات المتنبى التي تعلمناها منها، وصرنا نغنيها على أنغام حوليات أم كلثوم:

مغاني الشعب طيبا في المفاني..... بمنزلة الربيع من الزمان.

ملاعب جنة لو سار فيها..... سليمان لسار بترجمان

هلا تعرفينها يا أم الوليد؟

وتقول هذه الصديقة الحيفاوية أنها لا تشعر بالوطن إلا حين تجلس في الليل قبل النوم إلى جانب والدتها على الفراش، وتحدثها والدتها عما مضى من أيام حين كان أخوتها الستة في البيت، وينامون على الأرض. ويتضاحكون ويتشاجرون. وفي الصباح تصر الأم لهم الزواويد. هذا يذهب إلى عمله وهذا يذهب إلى مدرسته. وإخوتها الستة تفرقوا الآن في أنحاء الدنيا، في الكويت وفي السعودية ، وفي أبي ظبي، وفي بيروت، وواحد في القبر. ولديها أيضا عن فراق أخوتها بيتا شعر، لشاعر قديم، وها هي تكتبهما الآن في هذه الرسالة بخط يدها: في كنت سابع سبعة لي إخوة.... لو أن شيئا يا دريم يدوم.

ذهبوا بنفسى أنفسنا إذا ودعوا.... فالعيش بعد مقتم مذموم.

أليست أفصح منك يا أم الوليد؟

وهي تنتصر علينا جميعا حين نتبارى بالشعر مع إننى في بعض المرات، حين أعجز، أنظم البيت المناسب فتقول لي: مكسور، ولكن لابأس، من أجل خاطر والدتك الحيفاوية.

وسألناها: بما أنك تعيشين في هذه البلاد، وتعرفين أكثر مما تعرف، كيف ترين المستقبل؟ فاجابتنا بلوعة، ما أن أفكر بالمستقبل حتى يتراءى لي الماضي ماذا أقول لكن؟ أن المستقبل الذي أحلم فيه هو الماضي؟ وهل هذا ممكن؟

الآن فهمت يا ماما لماذا ترفضين أن تزوري حيفا. ماما الحنونة ألم تخافى من أن تشعري بما تشعر به هذه الفتاة الحيفاوية؟[88]

وكما ذكرنا أن الشخصية أم الروبابيكا تمثل شخصية واعية فتعال بنا نمشى مع إميل حبيبى كيف يصورها و طموحاتها في الحياة بما يتطابق تطابقا كليا مع النساء المسلمات صاحبات الغيرة في فلسطين.

"كانت تبيع ما سحبت يداها من سجا جيد، ومن كراسي ، ومن مرايا، وكانت تفتح الدوشك وتبحث فيه عن الكنز، ثم تطويه وتبيعه. وربما وجدت شيئا ويوما زرتها وكانت متربعة على الأرض، وصف دوشك مبعثر أمامها. وكانت في يدها رسالة تقرأ فيما وتنشج.... فاستوضحتها الأمر. فقالت: تذكرت أولادي.

وهذه الرسالة ؟

[88]. رواية سداسية الأيام الستة ـ إميل حبيبي ـ في قصة الحب في قلبي، الرسالة الثانية.

قالت واحدة من رزمة رسائل كان شاب يرسلها، على ما يظهر إلى فتاته ، فكانت تخضيها في خرق فتحته في الدوك.

ثم مسحت دموعها، وهتفت: كيف كنوزي، كنوزي، وكانت تعيش على ما تبيعه من أثمان ما لتبيعه من أثاث البيت. وتقدم القهوة لكم. وترفض هدايكم وكانت إذا دخلتم في الشعر، دخلت فيه، وكنتم تسرعون إلى إكمال بيت إذا لم يأتها سوى شطره الأول وكنتم تهمهمون استحسانا ـ لؤما ـ إذا روت بيتا وقد كسرته"[89].

[89]. رواية سداسية الأيام الستة ـ إميل حبيبي ـ في قصة أم الروبابيكا.

الفصل الثالث

رؤية إميل حبيبي وتعبيرها

كان إميل حبيبي صاحب حلم ورؤية واضحة المعالم، ولكنه رحل قبل تحقق الحلم، إن كلماته نموذج ونبراس من للجيل الجديد. ونبأ عظيم عن المستقبل الزاهر.

أنه أعلن بصريحة أن الحل السياسي الوحيد لقضية الصراع العربي والإسرائيلي هو قيام دولتين مستقلين واحدة لليهود وأخرى للعرب الفلسطين يومها اعتبر هذا الكلام في ذالك الوقت خيانة بالنسبة لليهود والعرب. ونشهد اليوم أن هذا هو المطلب العربي والفلسطيني والإسرائيلي والعالمي.

وكذالك أنه تفاءل بعودة الشعب الفلسطيني من الشتات إلى أرض وطنه وتمنى لهم كل الفرح والسعادة. بعد مضي خمسة عشر عاما قوله أصبح قولا صادقا وأصبح لسان كل إنسان.

كلمات إميل حبيبي تنور لنا في ظل تعقد الأوضاع وتدهورها على المستوى الوطنى. والعنصرية الصهيونية الهادفة إلى اقتلاع الشعب من جذوره وتدمير كل عناصر ومقومات وجوده الوطنى على الأرض الفلسطينية أن يعزز الشعب الفسلطيني وحدة الصف والتمسك بالثوابت الوطنية وقرارات الإجماع الوطنى وخيار المقاومة بكافة أشكاله وصولا إلى الحل العادل للقضية الفلسطينية، والدولة المستقلة بعاصمتها القدس.

فكرته لإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة

نرى أن المفاوضات على مدار عشرين عاما أثبتت فشلها الذريع وبالتالي فإن هذه المفاوضات كانت تتحول إلى نوع من الاستجابة للمشروع الإسرائيلي الأمريكي ولكن أمام هذه الأوضاع نرى ضرورة إعادة تأسيس رؤنيتا للصراع وما يشبه إعادة التصميم لركائز قضيتنا الفلسطينية. وإعادة إنتاجها في الواقع الفلسطيني، بكل مرتكزاته القومية والوطنية في الداخل والمنافي، بما يستعيد روح القضية من براثن الهبوط والانقسام الفلسطيني الداخلي إن هذه التحديات تدعونا لإعادة بناء رؤيتنا ودورنا المستقبلي، وهي عملية تندرج تحت بند " الضرورة التاريخية" صوب أهدافنا ورؤيتنا ليس في الإطار الوطنى الفلسطيني فحسب بل في إطار الرؤية المستقبلية الكفيلة وحدها بإزاحة كل عوامل الهزيمة واستنهاض الجماهير واستمرار جذوة المقاومة الشعبية.

أما فكرة الدولة الفلسطينية المستقلة التي اقترحها إميل حبيبي في ذالك الوقت إنها أثارت نقاشا حاداولكن الآن هي ترتج في أكثر أكناف الدول وكل لسان ينطق بهذه الفكرة وتقدم حضورا ملموسا للتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير الفلسطينية من أجل استعادة الحقوق الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها حق العودة، وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. وعاصمتها القدس. لم تعد مسألة إقامة الدولة، مجرد وعد أوهدف بعيد المنال، فلدى الشعب الفلسطيني اليوم كل مكونات الدول المتكونة والمتجسدة على الأرض كما في أية دولة أخرى، وهي الأرض، الشعب، السلطة، الأساس القانوني

والشرعية الدولية، وإن أي مراقب حيادي وموضوعي سيؤكد، من دون شك، أن المستقبل القريب سيكون بالنسبة لهذه القضية، وإن الاتجاه العام يسير بسرعة لمصلحة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس[90]. نظرا لخصوص طبيعية هذه الدولة وماهيتها، فهي بالضرورة لن تكون إلا دولة ديمقراطية تعددية، تحترم سادة القانون وحقوق الإنسان, وحرية التعبير وتتمتع باقتصاد حر وسوق مفتوحة، وهذا الاستنتاج لايكون مجرد دعاوى أو تمنيات وتنبؤات، لأن الشعب الفلسطيني الذي عانى الظلم والاضطهاد والتمييز العنصري منذ العصور الغابرة، لديه حساسية كبيرة من المس بالحريات العامة والديموقراطية وحقوق الإنسان كما تجربته السلطة الوطنية الفلسطينية متصفة نسبيا بالإيجابية، وبغض النظر عما شابها من ثغرات بسبب التعقيدات الذاتية والموضوعية[91] ومن الجدير بالذكر دولة فلسطين هي أكبر دولة، بلا أدنى شك، تكافح لإقامة الدولة الديمقراطية في العالم، وهذا يتطلب تعاضدا، تكاتفا وتعاونا بين أبناء الشعب الفلسطيني والعرب والمسلمين وبين جميع القوى السياسي الفاعلة، مؤسسات المجتمع المدني، وبنفس القدر من تحمل المسؤلية مع مؤسسات السلطة الوطنية. وكذالك إنما يأتي بتسلح القوة المادية والبشرية والعسكرية. والإعلامية التي يجبر الاحتلال على دفعها بفضل الصمود والمقاومة التي يبديها شعب يرفض الخضوع لإرادة الاحتلال، ونحن على يقين تام بأن هذه الأرض جديرة

---

[90]. التجربة الحكومية في ظل السياسي الفلسطينية، قريح أحمد، ص 175.

[91]. في الطريق إلى الدولة المستقلة: قريح أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. The Israeli-Palestine Conflict: A Documentry record by yehuda Lukasc,182.

بحريتها التي انتزعها شعبنا بكفاح أبناءه دماء قوافل شهداءه الأبرار وأنات جرحاه البواسل، وصمود أبطاله الأسرى في السجون المعتقلات الإسرئيلية.

ومن هنا تتضح رؤية إميل حبيبي الشفافة البناءة وأصداءها في العالم وتعبيرها واضحة المعالم.

فكرته لعودة الشعب الفلسطيني من الشتات إلى أرضه.

تشوق إميل حبيبي بحلم وافر لعودة الشعب الفلسطين: إنه جسد هذه الفكرة من خلال رواياته بأسلوب عربي رامز ممتاز وهي أكبر تحديات عرفتها البشرية وأخطر حدث عرفه التاريخ الفلسطيني الحديث منذ ذالك الوقت حتى الآن، ولم يجد المجتمع الدولى والعربي إلى الآن حلا عاد لا لها يقوم على عودة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم بحسب القرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن.

تعتبر قضية اللاجئين الفلسطين جوهر القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، كونها مشكلة سياسية وإنسانية، وتعتبر حقوق اللاجئين جزء لايتجزأ من الحقوق الوطنية الفلسطينية المعترف بها دوليا، وفي مقدمتها حق العودة والتعويض.

يتفاءل إميل حبيبي في صورة الشخصيات المختلفة في رواية المتعددة على لسان المتشائل، وباقية، ويعاد، وولاء، وأم الروبابيكا، وجبينة، وإخطية وغيرها وكما تدعم "يعاد" فكرة حق العودة في رواية المتشائل بقولها "الماء

لا يترك البحر يا عماه، أنه يتبخر، ثم يعود في الشتاء، يعود أنهارا وجداول، ولكنه يعود"[92].

هكذا إميل حبيبي يرافق دائما مع اللشعب الفلسطيني ويبقى عبر صوت يعاد " هذا بلدي وهذه داري" . لو رائي أثر الربيع العربي الحالي على تحركات اللاجئيين الفلسطين. لهدأ قلبه وقرت عيناه ومن الملاحظ أن الربيع العربي أثر بتحركات اللاجئيين الفلسطين التي تمثلت بـ " مسيرات العودة" واتضح دور الشباب فيها بتأثير من الربيع العربي، وبدأ التفكير بها مع انطلاقة هذا الربيع[93].

وبالجملة: إن حق العودة قد أخذا حيزا كبيرا من التفكير السياسي والقانوني والإنساني للفلسطينين والعرب على مدى عقود من الزمن منذ بروز القضية الفلسطينية ولكنه اليوم أكثر من إى وقت مضى، يبدو حاجة وطنية فلسطينية وحاجة قومية وإنسانية من أجل بقاء احترام الذات و من أجل الحفاظ على مصير الأمة ككل، فإن حق الفلسطيني في العودة إضافة إلى كونه مقدسا، يجب أن يتحول إلى مطلب قومي، لأنه حق للأمة العربية بضمان وجودها ومصيرها، ومصير شعوبها وكرامتها قبل أي شئ آخر. ولابد للشعب الفلسطيني أن يعلموا ما كان مستحيلا في السابق، بات ممكنا اليوم أو غدا.

---

[92]. المتشاءل ـ إميل حبيبي.

[93]. للمزيد، يرجى بالرجوع إلى أعمال منتدى"الشباب والتغير في العالم العربي: سامي محمود ورؤي المستقبل في مركز الجزيرة.

مستقبل القضية الفلسطينية وفق رؤية إميل حبيبي

إميل حبيبي كان يرافق دائما بالشعب الفلسطيني في حله وترحاله حزنه وسروره، ليله ونهاره، وكان يحلم دائما بحلم العدالة والحرية، إنه قضى حياته في حراسة الحلم الفلسطيني وتثبيت جسور التواصل مع العمق العربي والأممي الإنساني، وفي بناء مشروع السلام الحقيقي والعادل الذي يضمن حقوق الشعب الفلسطيني ودائما يريد أن يبقى الشعب الفلسطيني حيا وقادرا على مقاومة الصهاينية والاستعمار والتثبت بالبقاء على أرض الوطن، والتشديد على الانتماء العربي وحماية الهوية الفلسطينية من كل المحاولات الإسرائيلية لإلغاءها ونحوها[94].

ومن هنا تتجلى لنا رؤيته الشفافة واستماتته في سبيل الحرية و الكرامة وجهوده وأفقه في بناء الدولة الفلسطينية المستقلة. كما يقول د. ياغي يظل إميل حبيبي أمينا على مسيرة الأبداع الأدبي الذي يحمل في عروقه دم القضية ونبضها مع صبر وجلد وإيمان بالمستقبل[95].

وكذالك لايفوتنا أن نشير إلى أن الربيع العربي الحالي الذي يكشف أيمانه بالمستقبل في صالح القضية الفلسطينية ومن دون شك إن الربيع العربي هو رسالة سياسية عظيمة إلى أبناء الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج وإلى كافة القوى الفلسطنية من (فتح ـ حماس ـ شعبية ، والمقاومة الإسلامية)

---

[94]. السلام المعلق: على متفترق الطرق قريح أحمد، ص 70.

[95]. عبدالرحمن ياغي: في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية ص 28.

وكافة القوى الفلسطينية والمنظمات السياسية إلى الدعوة إلى التوحد وتقوية الصف الداخلي والخارجي والموقف الفلسطيني ونبذ الخلافات والترفع فوق الجراح لكي يساهم في دعم القضية الفلسطينية وتقوية موقفها أمام الجميع الدولى ولدعم حقوق الشعب الفلسطيني المشروع في إقامة دولته المستقلة ولكي يساهم في تخفيق المعاناة عن الشعب الفلسطينى في ظل ذالك الحصار الظالم والجائر على قطاع غزة وعلى أغلبية المدن الفلسطينية في الضفة الغربية. إن الربيع العربي قد أثر على حل القضية الفلسطينية وقد يكون هو المحرك الأساسي والرئيسي للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ولكل الشعوب العربية. إن الربيع العربي بيدو أنه قادما على كافة الدول العربية وما يجري في سوريا من حراك شعبي وثورات وسفك الدماء، يؤكد أن هذا الربيع القادم سوف يعمل على تطهير الأنظمة السياسية الفاسدة وسوف يكون تأثيره كبير على فلسطين وإسرائيل.

خاصة بعد ما تولى السيد الرئيس مرسي لمصر، بدأت تشع ضياء السرور بأن مرسي أُعلن في خطابه الحالي وقوفه مع الشعب الفلسطيني يدعم قضية الشعب الفلسطيني العادلة بقوة وأشار الزهار إلى أن الشعب المصري كان متوحدا مع الشعب الفلسطيني ورافضا لحصار قطاع غزة والحرب الإسرائيلية عليه وتجويع سكان القطاع مشددا على أن نهضة مصر وقوتها القادمة واستعادة مكانتها هو استنهاض لقوة المنطقة وفيه تعزيز للقضية الفلسطينية وعدم تخلي الشعب الفلسطيني عن ثوابته.

وقال الرئيس مرسي في خطابه إن مصر ستقف مع الشعب الفلسطيني حتى يحصل على كافة حقوقه المشروعة، مؤكدا أن مصر ستعمل على إتمام المصالحة حتى يكون الشعب الفسطيني صفا واحدا لاستعادة حقه. هذا ما يتفاءل إميل حبيبي عن المستقبل الزاهر للقضية الفلسطينية كما لاتزال وصية "باق في حبفا" تتغلغل في أعماق قلوب الشعب الفلسطيني، تقود دائما إلى صراط عادل يضمن حقوق الشعب الفلسطيني.

خاتمة

بعد ما وصلنا عبر هذه الرحلة الشاقة والممتعة في رحاب عالم القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي، وتتبع عرض تاريخي للقضية الفلسطينية وتجلياتها في الرواية العربية وشخصية إميل حبيبي ، فنه ونضاله الفلسطيني ورصد أبرز القضايا والأفكار التي أثارها إميل حبيبي الروائي الفلسطيني في هذا المجال. يمكن لنا أن نقول إن هذه الدراسة قد ألقت الضوء على القضية الفلسطينية كما وردت في رواياته بشكل جديد ممتع في موضوعها وشكلها وفنها، وقت اتسمت موقفه بالإكبار والتقدير والإعجاب. انطلاقا من رؤيته النضالية والتحريرية والثورية. ولذا نجد أنه صور القضية الفلسطينية بمختلف نواحيها من حقيقة تاريخية ومقاومية ونضالية، خاصة جسد فكره النضالي ومستواه الذهني وكربه الجسدي والروحي من خلال شخصية المتشائل الشخصية السلبية وسلوكياتها الشاردة التي لا تتولد إلاى من الظلم والاضطهاد وكان هدف إميل حبيبي خلالها محاربة هذه الصفات السلبية وإبراز روح المقاومة والصمود بقوة فاعلة مؤثرة.

وكذالك أظهرت الدراسة في رواية سداسية الإيام الستة انعكاس هزيمة حزيران على الشعب الفلسطيني وما جلبت هذه الهزيمة من آثار سلبية وإيجابية ولكنها شاملة على الاتجاهات الإيجابية بقوة أكثر من خلال الشخصيات الرئيسية والثانوية تجعلنا نحلم بحق العودة للشعب الفلسطيني

مرة أخرى بأسلوب متزن ورصين. وبذالك يبث إميل حبيبي في الجيل الجديد ضرورة الوعى الحقيقي والشعور المقارنة.

وهكذا رواية إخطية تحمل في طياتها معاني واسعة متعدد الدلالات والرموز وتقول لأبناءها أين ذهب أصحاب الشجاعة والغيرة لماذا تتركوني وحدي؟ وقد بينا من خلال تتبع الجوانب المثيرة للقضية الفلسطينية في الروايات المتعددة والدور الهائل الذي تقوم به المرأة ورصد إبعادها، أن إميل حبيبي قد ألح على إبراز الصورة الإيجابية للمرأة العربية الفلسطينية ودورها الفاعل والمؤشر في بناء الأسرة، وتربية الأبناء، والتزود بالعلم والوعى والتسلح، والصمود في وجه المحن وتحدي الواقع المر. وهذا ما يفسر بعض النماذج النسوية فنجد أن نموذج المرأة الإيجابية ممثلا بصورة الأم والزوجة والحبيبة خاصة صورة الأم من أبرز النماذج النسوية التي شغلت حيزا واسعا في رواياته ولعل السبب في ذالك يعود إلى أن الروائي قد وجد في صورة الأم الكادحة صورة مثيرة لكونها عانت الكثير وواجهت ظروفها القاسية بمزيد من الصبر والجلد، وأعطت الكثير في سبيل أسرتها ومجتمعها ووطنها.

إلى جانب هذا النموذج برز نموذج المرأة الثورية المثقفة التي ظهر دورها الفاعل والمؤثر على الصعيدين الاجتماعيى والوطنى. وقد جمعت بين هذين المنوذجين صفات مشتركة كثيرة تجسدت في حب المرأة للأرض أي فلسطين وللعمل، وسعيها الدائب لتحقيق أحلامهاوأهدافها، واستعدادها للبذل دون كلل أو ملل.

إن حرص الروائي الفلسطيني إميل حبيبي على إبراز الصورة الإيجابية للمرأة بوصفها قوة فاعلة ومؤثرة في حركة النضال والصمود والمواجهة والتحرير يستحق بالتقدير.

إما من الناحية الفنية فقد أظهرت الدراسة أن إميل حبيبي يمتاز من الأدباء الآخرين في اصطياد الفرح من غابات الحزن المظلمة عن طريق السخرية والكوميديا السوداء، ليقاوم آلام الشعب وفواجعه إنه كان صوتا فريدا في استخدام الأساليب الهزلية الساخرة في الرواية العربية المعاصرة.

ومما يلاحظ أيضا أن اللغة التي استعملها إميل حبيبي فهي لغة تمتح من التراث ولكنها تضيف عليه، وهي بالتالي تستمد من الصحافة وتشيد على لغتها وتطورها وتشتق من أمرين صياغات جديدة وهي اللغة التي تمزج بين القديم والحديث من جهة وحين تعبر بالقديم عن موضوع من أخرى وكذالك يمتاز أسلوبه بالعامية المفصحة.

وكذالك لاحظ الباحث أثناء دراسته حضورا ملموسا لتأثير رواياته على القضية الفلسطينة ورأينا إلى أي حد تتفاعل محتويات الروايات مع النضال الوطنى تمت هذه الدراسة على رؤية إميل حبيبي وتعبيرها وأخيرا، فإن هذا البحث ما هو إلاجهد متواضع، يتناول القضية الفلسطينية في ضوء روايات إميل حبيبي.

اقتراحات

كمـا علمنـا أن إميـل حبيبـي يشـتاق لمسـتقبل الشـعب الفلسـطيني، وفـق رؤيتـه البنـاءة فـي حـق الشـعب الفلسـطيني نسـتنتج شـيئا مـن الاقتراحـات التي تكون صالحة ونافعة للشعب المنكوب.

1. هذه هي القضية الفلسطينية ليست قضية فلسطينية فحسب بل هي قضية إنسانية عالمية لابد لكل منا أن ينهض ويناضل ويكافح ضد هذا الطاغوت في كل مجال من مجالات الحياة حتى يرتج العالم بأصوات هذه القضية. ولا بد لكل الأصوات الديمقراطية والتقدمية في العالم أن تقف روحيا وجسديا بالفلسطين.

2. إذا لم يكن القيام بهذه المسؤلية من قبل كل منا، فلا بد للتنبيه إلى أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولا وأخيرا، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهودا جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي وعن أعين الأمة الإسلامية فإنني أرى أنه لايمكن الوصول إلى حل لتلك القضية إلا باعتبار القضية إسلامية وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها حتى تعود الأرض إلى أهلها وحتى يعود شذاد اليهود إلى بلادهم التي جاؤوا منها. ويبقى اليهود الأصليون في بلادهم تحت حكم الإسلام، لاحكم الشيوعية ولا العلمانية، وبذالك ينتضر الحق ويخذل الباطل.

3. لابد للعالم كله أن يتساءل إسرائيل ما هي حدودك؟ أين خريطتك؟ لم تلتزم بقانون الأمم المتحدة 1967 يحق لك 55% من الأراضي الفلسطينية بل مارست خطة الاغتصاب ولاتزال.

4. كثيرون هم الذين يقولون إن الهيمنة الأمريكية التي تسود الآن هي ستظل مستمرة في المستقبل القريب كل منا يقولون أن أمريكا هي أساس الظلم و الفساد والدمار في العالم. ولايعملون شيئا للتصدى منها والتخلص منها. نحن في عالم يتسم اليوم بالتغير السريع, ونحن لسنا وحدنا في العالم ممن يقاومون الهيمنة الأمريكية. فهناك أمم وشعوب ودول وحكومات ترفضها وتقاومها وتعمل على التخلص منه كما أن تشكيل نواة قطب أو أقطاب عالمية ليس أمرا مستحيلا، فالمستقبل يؤذن بظهور قوى قطبية مثل الاتحاد الأوربي والصين، صحيح، أن الولايات المتحدةعملت على محاربة مثل هذا التوجه وحققت نجاحات في ذالك وبخاصة حينما قررت غزو العراق واحتلاله غير أن هذا لم يمنع ظهور مثل هذه القوى. ولن تستطيع الولايات المتحدة الصمود في وجه هذه التحديات إلى مالانهاية. وبخاصة أنها تورط نفسها اليوم في جميع القضايا العالمية التي تستنرف قواها واقتصادها وقد بدأت المؤشرات تظهر للعيان وعلينا أن نعلم بأن ما تعاني منه اليوم الأمة الإسلامية من هجمات شرسة وتحديات خطيرة ليست هي الأولى ولاتكون الأخيرة: ولكن تمكنت من التصدى لها والتخلص منها. وهذه سنة الله أنه يستدرج الظالمين ويملي لهم حتى يأخذهم بغتة، كما يقول

عزوجل، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . ولابد لنا أن نعض بالنواجذ هذا الحديث الشريف، "وانصر أخاك ظالما أو مظلوما ....فقال رجل أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره"

فهرس المراجع والمصادر

- أبو أصبح، صالح، "فلسطين في الرواية العربية ط ـ 1، مركز الأبحاث بيروت، 1925م.
- أبومطر، أحمد: الرواية في الأدب الفلسطيني ط ـ 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م.
- إميل حبيبي، سداسية الإيام الستة دار الجليل للطباعة والنشر، منظمة التحرير الفلسطينية، الطبعة الثالثة، عام 1984م.
- بسيسو، عبدالرحمن: استلهام الينبوع، 110، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.
- جمال الدين الرمادي: حصاد الإيام الستة، دار الشعب للمجانة والطباعة والنشر.
- جون خرافي جوزيف، اللغة والهوية، قومية، اثنية، دينية، ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب.
- الخطيب، حسام: الثقافة والتربية في خط المواجهة ، وزارة الثقافة، دمشق 1983.
- الخليل إبراهيم: في القصة والرواية الفلسطينية.

- د. حميد الحمداني: النقد الروائي والأيد ولوجيا من سوسولوجيا الرواية إلى سوسولوجيا النص الرواني: ـ المركز الثقافي العربي.
- د. هاشم ياغي: الرواية وإميل حبيبي.
- دقاق، أبراهيم، القضية الفلسطينية تحديات الوجود والهوية: ، 2005، AIRP.
- دكتور رشاد الشامي المرأة في الرواية الفلسطينية – 1965- 1985. ، من منثورات اتحاد الكتاب العرب.
- رجاء النقاش: مقدمة سداسية الأيام الستة، معتوق، بيروت، ب. ت.
- إميل حبيبي: رواية إخطية، منشورات مؤسسة "بيسان برس" للصحافة والنشر والتوزيع، قبرص، ينقوسيا.
- الزمن والسرد القصصى في الرواية الفلسطينية المعاصرة، الناشر: دار سندباد للنشر والتوزيع ـ لوحة الغلاف: أحمد فؤاد سليم ـ تصميم الغلاف: عمر جهان.
- سمير أيوب: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيونى، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، عام 1984م.

- شكرى عزيز ماضي: انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1978م.
- عبد الغني، مصطفى: الاتجاه القومي في الرواية عالم المعرفة، الكويت، 1990م.
- عبدالله محمد حسن: الريف في الرواية العربية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1990.
- عروة، أحمد ياسين: مناهج النقد الأدبي في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين، ، AIRP، 2005.
- عصفور، د. جابر: زمن الرواية، المدى، 1999.
- غنايم محمود: في مبنى النص، دراسة في رواية إميل حبيبي: الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاءل، منشورات اليسار، عام 1987م.
- فاروق وادي: ثلاث علامات بارزة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1981م.
- القضية الفلسطينية: العدوان والمقاومة وسبل التسوية، بترنك ولايويجن فيروسيو، أكادمية العلوم السوفيتية.

- المتشائل: إميل حبيبي، ط 2، دار ابن خلدون، بيروت.
- مجموعة المؤلفين مراجعة وتقديم، صلاح جرار: معالم الحياة الأدبية في فلسطين والأردن: ، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان، الأردن.
- محسن محمد صالح: القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة 2001م د. مركز الزيتونية للدراسات و الاستشارات بيروت، عام 2011م.
- محمد دكروب: مقدمة سداسية الإيام الستة.
- منيرة مصباح: في سفر الكلمات ـ شموع فلسطينية ودراسات آخرى AIRP 2008.
- نضال صالح: النزوع الإسطورى في الرواية العربية المعاصرة: د. ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002.
- نضال صالح: نشيد الزيتون–قضية الأرض في الرواية العربية الفسطينية، د. ، من منثورات اتحاد الكتاب العرب 2004.
- وليد أبوبكر، الواقع والتحدي، للنشر والتوزيع 1983.
- ياغي، عبدالرحمن: في النقد التطبيقى مع روايات فلسطينية: عمان، الأردن، دارالشروق، 1999.

- اليافي، نعيم: التطور الفنى لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث، اتحاد الكتاب العرب 1982.

الصحف والجرائد والمجلات

- بانوراما الصحافة: 15، الثلاثاء، 2007/ 20/3.
- جريدة حق العودة العدد 45 ملخص الورقة البحثية المرأة الفلسطينية بين اللجوء والعودة في رواية المتشائل.
- غالي شكري: مجلة الطليعة، ط 8، س 15 - 1951.
- مجلة الاتحاد: الكتاب الأول في 1972، والثاني في أواخره، والثالث في أواسط 1974.
- مجلة الجامع الإسلامية، مجلة التاسع عشر العدد الأول ص 1057، 1117.
- مجلة الجامعة الإسلامية المجلة التاسع عشر العدد الأول، ص 865 - 882، يناير 2011. جدلية الأنا والآخر (رواية المتشائل) النموذج"
- مجلة الشرق: عدد خاص بإميل حبيبي.
- مجلة الكرمل: العدد 15/ عام 1985 يتوقوسيا قبرص، 48.
- المفارقة عند جيمز جويس وإميل حبيبي. Aif: department of English and comparative literature, America J

University in Cairo. Source: Alif: Journal of comparative poetics, No 4 intertextuality.

- Journal of Arabic literature xxiv Emile Habibi: The Mirror of Irony in Palestinian Literature.

المواقع

- EN.wikipedia.org/wiki/emile habibi
- EN.wikipedia.org/wiki/palestine– literature
- www.alhayatliatfal.net.
- www.answers.com
- www.britannica.com
- www.friedok.uni–Freiburg.de/…/ende_The Palestine conflict
- www.haifa_israel.info/habibi
- www.independent.co.uk/news
- www.jstor.org/stable.
- www.webgaza.net

الكتب الإنجليزية

- Arabic Novel: Bibilography and Critical Introduction: Hamdi Sakkut 1865-1995, The American University in Cairo Press.
- Culture and customs of the Palestinians by samihk. Farsoun.
- Debunking the myths of colonization: the Arabs and Europe: by Samar Attar, copy right 2010 by university press of America, ®ine.
- Dimensions of humor: explorations in linguistics literature by Carmen Valero Garces.
- Eycyclopedia of the Palestinians by Philip Mattar Revised Edition, Facts on File Liberary of World History.
- Great world writers twentieth century Patrick m, O'neil.

- Modern Palestinian literature on culture by AMI ELAD – bonsikla, printed in Great Britain by MG Books LTD, Bodmin Cornwall.
- The quest for a lost identity: Palestinian fiction in Israel by Mahmud Ghanaim.